سورة الضحى بين المفسرين والنحويين

دراسة لغوية نحوية

دكتورة / يسرية محمد إبراهيم حسن
مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادى له

وأشهد ألاَّ إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأُمة ، وتركها على المحجة البيضاء ورضى الله عن صحابته الغر المحجلين الذين سعدوا بلقاء الرسول الكريم .

وبعـــد

فهذه دراسة لغوية نحوية لسورة من سور القرآن العظيم المعجز بآياته وكلماته فلم يصل إلى رقيه بشر ؛ لأَنه من لدن حكيم خبير .

ولقد تضمنت هذه الدراسة معرفة الأَغراض السامية التى ترمى إليها الآيات وما دار حول أسباب نزولها .

ومن ثم كان منهجى فى دراسة هذه السورة الكريمة على النحو التالى :

١ ـ تقسيم البحث إلى بابين تحدثت فى الباب الأَول عن المعانى اللغوية للكلمات وذكر اختلاف العلماء حولها وبيان مواضع هذه الكلمات فى القرآن الكريم ، ثم قمت بشرح إجمالى للآيات الكريمة مستعينة بعدد لا بأْس به من كتب التفسير .

٢ ـ وكان الباب الثانى لدراسة القضايا النحوية الواردة فى السورة وهى :

(أ) القسم :

(ب) اجتماع الشرط والقسم .

(ج) إذا واستعمالاتها :

(د) اللام التي تكررت في السورة ثلاث مرات .

(هـ) سوف والفرق بينها وبين السين .

(و) الهمزة .

(ز) الفاء التي تكررت ثماني مرات .

(ح) « أما » واستعمالاتها وقد تكررت ثلاث مرات .

(ط) الجمل في السورة .

ومن خلال الدراسة عنيت بإظهار الجوانب البلاغية في السورة ؛ ليتبين للقارىء ما في القرآن الكريم من إعجاز ، كما أني لم أنس ذكر القراءات الواردة في السورة وما ترتب عليها من أحكام نحوية .

ولقد استعنت بعدد كبير من كتب اللغة والنحو ، فكانت لي عوناً بفضل ما بذله جهابذة النحاة والمفسرين .

فالله أسأل التوفيق فيما عرضت ، والهداية في إخراج هذا العمل بما يتناسب وشرف هذه السورة العظيمة .

وأحتسب الأجر عنده فهو حسبي ووكيلي وعليه وحده قصد السبيل .

مكة المكرمة في جمادى الأولى سنة ١٤١٣هـ

نوفمبر سنة ١٩٩٢م

د. يسريه محمد ابراهيم

الباب الأول

تفسير السورة

تاريخ ومكان نزول سورة الضحى :

نزلت السورة الكريمة بمكة المكرمة ، بعد سورة الفجر ، التى نزلت فيما بين ابتداء الوحى والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الضحى فى ذلك التاريخ .

عدد آياتهـا :

آيات سورة الضحى إحدى عشرة آية ، وعدَّها مكىّ القيسى عشر آيات (١) .

عدد حروفها وكلماتها :

حروفها مائة واثنان وسبعون ، وكلمها سبعون(٢) .

سبب نزول السورة :

ورد فى سبب نزول السورة ما يأتى :—

(أ) أن الوحى انقطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم مدة من الزمان(٣) فحزن حزنًا شديداً ، حتى غدا منه مرارا أن يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال (٤) ، ولكن كان يمنعه من ذلك إيمانه العميق وتمثل الملك له وأخبره بأنه رسول الله حقًا ، وما كان حزنه إلا مخافة أن

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها مكى القيسى ج٢/٣٨٢ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ٣٠/١٠٦ .

(٣) اختلف فى تحديدها فقيل : تأخر الوحى اثنى عشر يوماً « قاله ابن جريج » وعن الكلبى أنه تأخر خمسة عشر يوماً ، وعن ابن عباس أنه تأخر خمسة وعشرين يوماً ، وعن السدى ومقاتل أنه تأخر أربعين يوماً .

انظر : معانى القرآن للفراء ٣/٣٧٣ ، ومعانى القرآن للزجاج ٥/٣٣٩ وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالوية ١١٧ .

(٤) من كتاب ثلاث سور فى إطراء سيد البشر — محمد محمد الصواف ص ٣٦ .

يكون ذلك عن قلى أو غضب من ربه عز وجل بعد أن شاهد من كمال الاطمئنان والأنس بالوحى ما يثير لواهج شوقه إلى التزود منه ، فنزلت السورة تحمل أجمل البشرى وأحبها إلى نفسه الشريفة .

(ب) وقيل إن المشركين فرحوا لتأخر الوحى وكانوا يقولون : إن محمدًا ودعه ربه وقلاه فنزلت السورة بنفس لفظهم أنه ما ودعه وما قلاه .

(ج) وقيل إن خديجة أُم المؤمنين قالت للرسول الكريم : ما أرى ربك إلا قد قلاك مما نرى من جزعك(١) .

(د) وقيل إن أُم جميل امرأة أبى لهب(٢) قالت للرسول صلى الله عليه وسلم ما أرى شيطانك إلا قد تركك .

وفرق كبير بين قول أُم المؤمنين وقول أُم جميل :فالأَول قول توجع وألم ، والثانى قول شماتة وسخرية .

(ﻫ) وقيل تأَخر الوحى لترك الرسول صلى الله عليه وسلم الاستثناء وذلك أن مشركى قريش أرسلوا إلى يهود المدينة يسأَلونهم عن أمر محمد فقالت لهم اليهود : سلوه عن أصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح ، فإن أخبركم عن قصة أهل الكهف ، وقصة ذى القرنين ، ولم يخبركم عن أمر الروح فاعلموا أنه صادق ، فجاءه المشركون وسأَلوه عنها ، فقال صلى الله عليه وسلم : ارجعوا

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ١٤٨/٣٠ .

(٢) هى العوراء بنت حرب أخت أبى سفيان والتى نزل فيها قوله تعالى : «وامرأته حمالة الحطب» — انظر تفسير الطبرى ١٤٨/٣٠ والكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى ٢٦٣/٤ البحر المحيط ٤٨٥/٨ .

سأخبركم غدا . ولم يقل : إن شاء الله ؛ فاحتبس الوحى عنـه أيامًا ، فنزل قوله تعالى : ولا تقولنَّ لشىءٍ إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله »(١) وقوله تعالى ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ .

(و) وقيل تأخر الوحى لأن جروًا دخل تحت سرير الرسول الكريم فمات فسأل الرسول خادمته خولة : ما حدث فى بيتى ؟ إن جبريل لا يأتينى قالت : خولة فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فإذا جرو ميت ، فأخذته فألقيته خلف الجدار ، فجاءه جبريل عليه السلام وسأله الرسول الكريم عن التأخر فقال : أما علمت أنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة (٢) .

مناسبة السورة لما قبلها :

يتساءل الفخر الرازى عن الحكمة فى تقديم الليل فى سورة الفجر ، وتأخيره فى سورة الضحى ، ويجيب عن هذا التساؤل بقوله :

فيه وجوه :

أحدها : أن بالليل والنهار ينتظم مصالح المكلفين ، والليل له فضيلة السبق لقوله « وجعل الظلمات والنور ، وللنهار فضيلة النور ، بل الليل كالدنيا والنهار كالآخرة ، فلما كان لكل واحد فضيلة ليست للآخر ، لاجرم قدم هذا على ذاك تارة ، وذاك على هـذا أخرى .

---

(١) سورة الكهف آية ٢٣ — انظر تفسير القرطبى المسمى الجامع لأحكام القرآن ٩٣/٢٠ وتنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقى البروسوى ٥٦١/٤.

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٢١٠/٣٢ وتفسير القرطبى ٩٣/٢٠ وتفسير الموسوى ٥٦١/٤ .

وثانيها: أنه تعالى قدم الليل على النهار فى سورة أبى بكر ؛ لأن أبا بكر سبقه كفر ، وههنا قدم الضحى ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما سبقه ذنب .

وثالثها: سورة والليل سورة أبى بكر ، وسورة الضحى سورة محمد عليه الصلاة والسلام ثم ما جعل بينهما واسطة ليعلم أنه لا واسطة بين محمد وأبى بكر ، فإذا ذكرت الليل أولا وهو أبو بكر ثم صعدت وجدت بعده النهار وهو محمد ، وإن ذكرت والضحى أولا وهو محمد ثم نزلت وجدت بعده ، والليل وهو أبو بكر ؛ ليعلم أنه لاواسطة بينهما (١) .

كما أنها متصلة بما قبلها أيضاً من وجهين ، ففى الأُولى قوله تعالى : ﴿ وإن لنا للآخرة والأُولى ﴾ ،وفى الثانية قوله تعالى : ﴿ وللآخرة خير لك من الأُولى ﴾ ، وفى سورة الليل « ولسوف يرضى » وفى سورة الضحى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (٢) .

ولقد وضعها الرسول الكريم بعد سورة الليل ؛ ليتصل رضا النبى برضا خليفته بعده ، وقدم رضا خليفته ؛ لأن ابتغاء وجه الله قبل كل شىء .

وقال أبو حيان :

ولما ذكر فيما قبلها وسيجنبها الأَتقى وكان سيد الأَتقياءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هنا نعمه تعالى عليه »(٣) .

(١) تفسير الفخر الرازى ٣٢/٢٠٧ — ٢٠٨ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ٣٠/١٠٦ .

(٢) تناسب الدرر فى تناسق السور لجلال الدين السيوطى ١٥١ .

(٣) البحر المحيط لأبى حيان ٨/٤٨٥ .

فضل سورة الضحى وما تهدف إليه :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ، بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (١) .

الأكثرون من الخلف والسلف على أن بعض القرآن أفضل من بعض (٢) ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى الحديث الصحيح فى الفاتحة : « إنه لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها » .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاتحة الكتاب .. وآية الكرسى .. وشهد الله أنه لا إله إلا هو .. وقل اللهم مالك الملك .. هذه الآيات معلقاتٌ بالعرش ليس بينهن وبين الله حجاب .

ذكر الزمخشرى فى أواخر تفسير السور ما ورد عن الرسول فى فضلها فنقل لنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن فضل سورة الضحى وهو :

« من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها له بعدد كل يتيم وسائل » (٣) .

وسورة الضحى بموضوعها ، وتعبيراتها ومشاهدها وظلالها وإيقاعها لمسةٌ من حنان ، ونسمة من رحمة ، وطائف من ود ، ويدُ حانية تمسح على

---

(١) أخرجه الترمذى فى ثواب القرآن برقم (٢٩١٢) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٠٢/٤ .

(٣) الكشاف ٢٦٥/٤ .

الآلام ، وتنسم بالروح والرضى والأمل ، وتسكب البرد والطمأنينة فى القلوب المؤمنة .

إنها كلها خالصة للنبى صلى الله عليه وسلم ، كلها أنسام من الرحمة وأنداءٌ من الود (١) .

من خلالها تهدأ نفس كل يتيم فقير لا حول له ولا قوة ؛ لأنه يتمثل صورة الرسول الكريم ، وما عاناه من يتم وفقر ثم رعاية الله له ، وكفالته له بكرمه وإنعامه ، فتهدأ نفسه الحزينة ، وروحه الحائرة ، وخواطره القلقة ، وقلبه الموجع بفقد وليه.

وفيها نداء للمسلمين برعاية اليتيم وحمايته وعدم قهره ونهره وهضم حقه ، وكسر شوكته وإذلاله ، فتنتفى البيئة القاسية الجاحدة ، وينتشر الحب والوئام ، ويعم الهدوءُ والسلام بين المسلمين غنيهم وفقيرهم

كما أنها تبعث الأمل فى نفس السائل المعدم ، وتلهمه الصبر والسلوان إذا اتخذ من رسولنا الكريم نوراً وهداية ، ومثلا أعلى فى الصبر وعدم القنوط ، وترقب الفرج الإلهى والمدد الربانى.

والسورة العظيمة تبين أن الهدى هدى الله ، فلنملأ قلوبنا بذكره « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، ولتلهج ألسنتنا بسوره وآياته فنبعدَ عن الضلال والغى ، ولا يجد الشيطان طريقاً ينفذ إلينا منه ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » ؟ !

---

(١) انظر « فى ظلال القرآن » لسيد قطب جـ ٣٠ / ٣٩٢٥ .

ولنشكر الله على نعمه وآلائه الكثيرة ، بلا تباه ولا تفاخر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بالنعم شكر ، وتركه كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » (١) .

ويكون التحدث بالنعم بالقيام بحقها من الإنفاق والإعطاء والبذل الذى هو من شأن الكرام البررة الذين ظهرت عليهم آثار نعمة الله فأدوها حقها ، وحق من أنعم بها عليهم سبحانه وتعالى .

وليكن لنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة فنقتدى به حيث كان جواداً ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حتى لكأنه أجود من الريح المرسلة .

---

(١) وليكن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة فنقتدى به حيث كان جواداً وكان أجود ما يكون فى رمضان حتى لكأنه أجود من الريح المرسلة .

معانى الكلمـــات :

(الضحـــا) :

الضحو والضحية كعشية ارتفاع النهار ، والضحى فويقه ، ويذكر ويصغر ضُحَيًّا بلا هاء ، والضحاء بالمد إذا قرب انتصاف النهار ، وبالضم والقَصر الشمس(١).

والضحى مؤنثة تصغيرها ضُحَيَّة . قال ابن خالوية : والأَجود أن تقول فى تصغيرها ضُحَىّ بغير هاء ؛ لئلا يشبه تصغيرها تصغير ضحوة»(٢).

وهو ظرف غير متمكن مثل سحر ، فإن قصد به ضحى يومك لم تنون وإلا تنون .

ونقل كل من القرطبى(٣) وأبى حيان قولا عن المبرد ملخصه أن الضحى من الضحّ المقصود به نور الشمس ، والواو من ضحى مقلوبة عن الحاء الثانية ولم أعثر فى كتب المبرد ما يفيد ذلك كما لم أجد أحداً وافق على هذا القول ، ووجدت أبا حيان يقول : لعله مختلق عليه ؛ لأَن المبرد أجلّ من أن يذهب إلى هذا ، وهاتان مادتان مختلفتان لا تشتق إحداهما من الأُخرى(٤).

وعن طريقة كتابة «الضحا» قال أبو جعفر النحاس : يكتب بالأَلف لا غير ؛ لأَنه من ضحا يضحو . وقول الكوفيين إنه بالياء لضم أوله . .

(١) انظر مادة « ضحى » فى القاموس المحيط .
(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالوية ٩٥ .
(٣) تفسير القرطبى ٧٣/٢٠ .
(٤) البحر المحيط ٤٧٨/٨ .

لا يصح فى معقول ولا قياس ؛ لأنه إن كتب على اللفظ فلفظه الألف ، وإن كتب على المعنى فهو راجع إلى الواو . . .»(١) هـ ملخصاً .

وورد عن حمزة والكسائى إمالة « الضحا » . قال مكى القيسى . أمالا على لغة للعرب ، يثنون ما كان من الأسماءِ من ذوات الواو ، مكسور الأول أو مضمومه بالياءِ ، فلما جاز تثنيته بالياءِ جاز إمالته»(٢) .

وقال أبو جعفر النحاس : أبو عمرو بن العلاءِ يتبع بعض الكلام بعضا ، فإن كانت السورة فيها ذوات الياءِ وذوات الواو أمال الكل ، والمدنيون يتوسطون فلا يميلون كل الميل ولا يفخمون كل التفخيم وليس فى هذه المذاهب خطأ ؛ لأن ذوات الواو فى الأفعال جائز إمالتها ؛ لأنها ترجع إلى الياء فيجوز « والضحى » والليل إذا سجا ممالا ، وإن كان يقال : سجا يسجو ؛ لأنه يرجع إلى الياءِ فى قولك : سجيت »(٣) .

المقصود بالإقسام بالضحا :

١ — النهار كله على ما ذكر كل من الفراءِ ومكى القيسى والشوكانى(٤) .

٢ — النهار أو ساعة من ساعاته على ما ذكر الزجاج واختاره الطبرى (٥) .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/٢٤٧ .

(٢) الكشف عن وجوه القرات السبع وعللها وحججها لمكى القيس ٢/٣٨١ .

(٣) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٥/٢٤٩ .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ٣/٢٧٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٤٩ المفردات من غريب القرآن ، فتح القدير بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ٥/٤٥٧ .

(٥) معانى القرآن وإعرابه المنسوب للزجاج ٥/٣٣٩ ، تفسير الطبرى ٣٠/١٤٧ .

٣ - صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقى شعاعها على ما ذكر الزمخشرى(١).

٤ - وقال النحاس : المعروف فى اللغة أن الضحى أول طلوع الشمس إذا أشرقت(٢).

٥ - الضحا بعيد طلوع الشمس على ما جاء عن أبى حيان(٣).

سبب إقسامه جل وعلا بالضحا :

الوارد فى كتب التفسير عن سبب الإقسام بالضحى هو أن هذه الساعة هى الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وألقى فيها السحرة سجدا .

وزاد الفخر الرازى عليهم قوله : إنه وقت اجتماع الناس وكمال الإنس بعد الاستيحاش فى زمان الليل ، فبشروه أن بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحى يظهر ضحى نزول الوحى (٤).

أما أهل المعانى فقد رأوا أن فى الكلام إضماراً والتقدير : ورب الضحا فيكون الإقسام عندهم بالله لا بالضحا .

والليل إذا سجا :

سجا سجوّاً سكن ودام يقال : ليلة ساجية أى ساكنة .

قال الفــراء :

الليل إذا أظلم وركد فى طوله(٥).

(١) الكشاف للزمخشرى ٤/٢٦٣ .
(٢) إعراب القرآن للنحاس جـ ٥/٢٣٥ .
(٣) البحر المحيط ٨/٤٧٨ .
(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى ٣٢/٢٠٨ .
(٥) معانى القرآن للفراء ٣/٢٧٣ واختاره ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن .

وقال الأصمعي :

تغطيتـه النهـار (١) .

وقال ابن خالويه :

ليـل ساج إذا سكنت ريحه واشتدت ظلمته(٢) .

وقال الطبرى :

المقصود سكون الناس والأصوات فيـه ، وهو أولى الأقوال(٣) .

وذكر أبو السعود أن المقصود بالليل فى السورة ليلة المعراج ،واختاره النسفى (٤) .

وقـد أثار ذكر الضحا وهو ساعة من النهار مع ذكر الليـل كله فى نفس الرازى عدة تساؤلات وأجاب عنها بقوله :

فيه وجوه :

أحدها : أنه إشارة إلى أن ساعة من النهار توازى جميع الليـل كما أن محمدا إذا وزن يوازى جميع الأنبياء .

الثانى : أن النهار وقت السرور والراحة ، والليـل وقت الوحشة والغم ، فهو إشارة إلى أن هموم الدنيا أدوم من سرورها فإن الضحى ساعة والليـل كذا ساعة .

الثالث : أن وقت الضحى وقت حركة الناس وتعارفهم فصارت نظير

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٩٢/٢٠ .

(٢) إعراب ثلاثين سورة ١١٦ .

(٣) تفسير الطبرى ١٤٧/٣٠ .

(٤) تفسير أبى السعود ١٦٩/٩ وتفسير النسفى ٣٦٣/٤ .

وقت الحشر ، والليل إذا سكن نظير سكون الناس فى ظلمة القبور ، فكلاهما حكمة ، لكن الفضيلة للحياة على الموت ، ولما بعد الموت على ما قبله .

الرابع : ذكر الضحى حتى لا يحصل اليأس من روحه ، ثم عقبه بالليل حتى لا يحصل الأمن من مكره(١).

(ما ودعك ربك وما قلى) :

ما ودَّعك بالتشديد معناه : ما قطعك ربك قطع المودع ، من التوديع الذى هو مبالغة فى الودع ؛ لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك(٢) .
وقراءة الجمهور بالتشديد ، أما التخفيف فقراءة عروة بن الزبير وابنه هشام وأبو حيوة ، وأبو بحرية وابن أبى عبلة(٣) .

وذكر القرطبى أن التخفيف قراءة ابن عباس وابن الزبير(٤) .

ولقد منع سيبويه أن يقال : وَدَع قال : استغنوا عنه بترك(٥) وذكر ابن جنى أن قراءة التخفيف لغة شاذة(٦) وتبع ابن مالك فى التسهيل ما ذكره سيبويه إذ قال : استغنت العرب بالفعل ترك وما تصرف منه عن الفعلين ودع ووزر وما تصرف منهما فقيل : ترك يترك تارك فهو متروك والمصدر الترك (٧).

---

(١) التفسير الكبير للرازى ٢٠٨/٣٢ .
(٢) التفسير الكبير ٢٠٩/٣٢ ، والكشاف ٢٦٣/٤ .
(٣) انظر البحر المحيط ٤٨٥/٨ .
(٤) تفسير القرطبى ٩٤/٢٠ .
(٥) انظر الكتاب ٤ : ٨٢ ، ٨٧ ، ١٠٩ .
(٦) الخصائص لابن جنى ٩٩/١ ، ٣٩٦ .
(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ٢٤٧ .

وورد الفعل بالتخفيف فى قول أبى الأسود الدؤلى :

ليت شعرى يا خليلى ما الذى   غاله فى الحب حتى ودعه(١)

كما ورد اسم الفاعل من ودع فى قول الشاعر :

فأيهما ما أتبعنَّ فإننى   حزين على ترك الذى أنا وادع (٢)

وورد أيضاً اسم المفعول فى قول خفاف بن ندبة الصحابى :

إذا ما استحمت أرضه من سمائه   جرى وهو مودوع وواعد مصدق(٣)

وعلى هذا يمكن القول بإن الأولى أن يكون «مودوع» بالتخفيف من قبيل الشاذ فى الاستعمال الفصيح فى القياس(٤).

« و ما قلى » :

القِلى البُغض ، وقلاه كرماه ورضيه قِلًى وقلاء ومقلية أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه(٥).

وورد عن طيىء قلى يقلاه بالفتح(٦) . قال سيبويه : وقالوا : جَبَى

---

(١) البيت فى الديوان ٣٧ ، وهو من شواهد ابن خالويه ١١٧ ، والخصائص ١ : ٩٩ /٣٩٦ ، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القرآن ٢/٣٦٤ ، ٤٨٥ والبيان فى غريب القرآن للأنبارى ٢/٥١٩ والبحر المحيط ٨/٤٨٥ وشرح شواهد الشافية ٥٠ .

(٢) لم أعثر على قائله رواه البغدادى فى شرح شواهد الشافية ٤/٥٣ .

(٣) البيت فى وصف فرس وبحره الطويل وهو من شواهد ابن جنى فى الخصائص ٢/٢١٦ ، والمحتسب ٢ : ٢٤٤ ، وهمع الهوامع للسيوطى ٢ : ١٤ .

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطى ١/٢٥٤ .

(٥) انظر القاموس المحيط مادة : قلى .

(٦) ذكره الزمخشرى فى شرح لأمية العرب « أعجب العجب ٤٣ ، والقرطبى ٢٠/٩٤ .

يجبَى ، وقلَى يقلَى ، فشبهوا هذا بقرأ يقرأُ ونحوه واتبعوه الأَول (١).

قال ابن خالويه :

ليس فى كلام العرب فعل يفعل بفتح عين يفتح الماضى والمستقبل فيسه مما ليس فيه حرف من حروف الحلق إلا : قلى يقلى ، وجبى يجبى وسلى يسلى ، وأبى يأبى ، وغسى يغسى وركن يركن(٢).

ووردت مادة «ضحى فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع :

(أ) ورد نكرة فى آيتين هما :

﴿ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ﴾ الأعراف ٩٨

﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴾ طـه ٥٩

(ب) وورد معرفاً بالإضافة فى ثلاث آيات هى :

﴿ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ النازعات ٢٩

﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ النازعات ١٤٦

﴿ والشمس وضحاها ﴾ الشمس ١

(جـ) وورد معرفاً بال فى آية واحدة هى :

﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ الضحى ١

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ١٠٥/٤ ، ١٠٦ .

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ١١٧ ، ١١٨ .

(د) وورد منها الفعل المضارع فى آية واحدة هى :

« وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » طه١١٩

وذكر لفظ « الليل » معرفاً بال فى الآيات الكريمة الآتية :

١ — ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ البقرة ١٦٤

٢ — ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ البقرة ١٨٧

٣ — ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ﴾ البقرة ٢٧٤

٤ — ﴿ تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ﴾ آل عمران ٢٧

٥ — ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ آل عمران ١١٣

٦ — ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ آل عمران ١٩٠

٧ — ﴿ وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾ الأنعام ١٣

٨ — ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ الأنعام ٦٠

٩ — ﴿ فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكبا ﴾ الأنعام ٧٦

١٠ — ﴿ فالق الإصباح وجعل الليل سكنا ﴾ الأنعام ٩٦

١١ — ﴿ ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار ﴾ الأعراف ٥٤

١٢ — ﴿ إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات
والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾ يونس٦

١٣ — ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما ﴾ يونس ٢٧

١٤ — ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ يونس ٦٧

١٥ — ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ هود ٨١

١٦ — ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ﴾ هود ١١٤

١٧ — ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار﴾ الرعد ٣

١٨ — ﴿ ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ الرعد ١٠

١٩ — ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ إبراهيم ٣٣ ، النحل ١٢

٢٠ — ﴿ فأَسرِ بأَهلك بقطع من الليل ﴾ الحجر ٦٥

٢١ — ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ الإسراء ١٢

٢٢ — ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ﴾ الإسراء ٧٨

٢٣ — ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ الإسراء ٧٩

٢٤ — ﴿ ومن آناءِ الليل فسبح ﴾ طه ١٣٠

٢٥ — ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ الأَنبياء ٢٠

٢٦ — ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ الأَنبياء ٣٣

٢٧ — ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ الأَنبياء ٤٢

٢٨ — ﴿ ذلك بأَن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ﴾ . الحج ٦١

٢٩ — ﴿ وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ﴾ المؤمنون ٨٠

٣٠ — ﴿ يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأُولى الأَبصار ﴾ النور ٤٤

٣١ — ﴿ وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا ﴾ الفرقان ٤٧

٣٢ — ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر﴾ الفرقان ٦٢

٣٣ — ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ﴾ النمل ٨٦

٢٤ – ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة ﴾ القصص ٧١

٣٥ – ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ القصص ٧٣

٣٦ – ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾ الروم ٢٣

٣٨ – ﴿ ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ﴾ لقمان ٢٩

٣٩ – ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ سبأ ٣٣

٤٠ – ﴿ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ﴾ فاطر ١٣

٤١ – ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ يس ٣٧

٤٢ – ﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ﴾ يس ٤٠

٤٣ – ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلاتعقلون ﴾ الصافات ١٣٨

٤٤ – ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ الزمر ٥

٤٥ – ﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا ﴾ الزمر ٩

٤٦ – ﴿ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ غافر ٦١

٤٧ – ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ فصلت ٣٧

٤٨ – ﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار ﴾ فصلت ٣٨

٤٩ — ﴿ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق﴾. الجاثية ٥

٥٠ — ﴿ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ ق ٤٠

٥١ — ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾ الذاريات ١٧

٥٢ — ﴿ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ الطور ٤٩

٥٣ — ﴿ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ﴾ الحديد ٦

٥٤ — ﴿ قم الليل إلا قليلا ﴾ المزمل ٢

٥٥ — ﴿ إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ المزمل ٦

٥٦ — ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ﴾ المزمل ٢٠

٥٧ — ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ المزمل ٢٠

٥٨ — ﴿ والليل إذا أدبر ﴾ المدثر ٣٣

٥٩ — ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾ الإنسان ٢٦

٦٠ — ﴿ وجعلنا الليل لباساً ﴾ النبأ ١٠

٦١ — ﴿ والليل إذا عسعس ﴾ التكوير ١٧

٦٢ — ﴿ والليل وما وسق ﴾ الانشقاق ١٧

٦٣ — ﴿ والليل إذا يسر ﴾ الفجر ٤

٦٤ — ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ الشمس ٤

٦٥ — ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ الليل ١

٦٦ — ﴿ والضحى . والليل إذا سجى ﴾ الضحى ٢

ووردت « ليلة » معرفة بالإضافة فى خمس آيات هى :

١ — ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ البقرة ١٨٧

٢ — ﴿ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ النازعات ٢٩

٣ — ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾ القدر ١

٤ — ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ القدر ٢

٥ — ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ القدر ٣

ووردت النكرة مفردة فى عشرة مواضع وهى على النحو التالى :

(أ) ورد لفظ « ليلة » بالنصب فى أربعة مواضع هى :

﴿ وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ البقرة ٥١

﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشرة فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ الأعراف ١٤٢

(ب) وورد « ليلا » بالنصب فى خمسة مواضع هى :—

﴿ أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً ﴾ يونس ٢٢

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾ الإسراء ١

﴿ فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون ﴾ الدخان ٢٢

﴿ قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً ﴾ نوح ٥

﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾ الإنسان ٢٦

(جـ) وورد « ليل » بالخفض مرة واحدة فى :

﴿ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ﴾ الدخان ٣

وجمع ليلة على « ليال » غير قياسيّ ، لأن الليالى جمع ليلاة ، فكأنهم استغنوا بتكسير ليلاه عن تكسير ليلة .

قال سيبويه :

قالوا : ملامح ومشابه وليال فجاء جمعه على ما لم يستعمل فى الكلام ، لا يقولون ملمحة ولا ليلاة(١) .

وكما جاء جمعه شاذاً جاء المصغر منه وهو قولهم لييلية . قال سيبويه فجاءت على غير الأصل كما جاءت فى الجمع كذلك(٢) .

وورد هذا الجمع فى القرآن الكريم فى أربعة آيات هى :

١ — ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ مريم ١٠

٢ — ﴿ سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين ﴾ . سبأ ١٨

٣ — ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ الحاقة ٧

٤ — ﴿ والفجر وليال عشر ﴾ الفجر ٢

ولم ترد مادة « سجا » فى القرآن الكريم إلا فى آية الضحى .وكذلك الفعل «ودع» ، وورد الأمر من«ودع» بالتخفيف فى قوله تعالى :

﴿ ولا تُطع الكافرين والمنافقين وَدَعْ أذاهُمْ وتَوَكَّل على الله ﴾
الأحزاب ٤٨

كما لم يردْ الفعل «قلى» إلا فى هذه السورة؛ وورد اسم الفاعل فى

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣/٢٧٥ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٣/٦١٦ وانظر شرح الرضى على الشافية ١/٢٧٧ ، ٢/٢٠٦

قوله تعالى : ﴿ قال إنى لعملكم من القالين ﴾ سورة الشعراء ١٦٨

« وللآخِرة خير لك من الأُولى ولسوف يعطيك ربك فترضى »

قال ابن إسحاق : الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة . وقيل الحوض والشفاعة . وعن ابن عباس . ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يشفعنى الله فى أُمتى حتى يقول الله سبحانه لى : رضيت يا محمد ؟ فأقول : يارب رضيت (١) .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى إبراهيم ﴿ فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾(٢) .

وقول عيسى : إن تعذبهم فإنهم عبادك»(٣)، فرفع يديه وقال : اللهم أُمتى أُمتى » . فقال الله تعالى لجبريل : اذهب إلى محمد وربك أعلم ، فسله ما يبكيك ؟ فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره فقال تعالى لجبريل : اذهب إلى محمد ، فقل له : إن الله يقول لك : إنا سنرضيك فى أُمتك ولا نسوءك .

قال الفخر الرازى :

لم قال : وللآخرة خير لك ولم يقل خير لكم ؟

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم — انظر الجامع لإحكام القرآن جـ ٢٠/٢٩٥ الكشاف ٤/٢٦٤ :

(٢) سورة إبراهيم آية ٢٦ .

(٣) سورة المائدة آية ١١٨ .

الجواب : لأنه كان فى جماعته من كانت الآخرة شراً له ، فلو أنه سبحانه عمم لكان كذبا ، ولو خصص المطيعين بالذكر لافتضح المذنبون والمنافقون ، ولهذا السبب قال موسى عليه السلام : كلا إن معى ربى سيهدين وأما محمد صلى الله عليه وسلم فالذى كان معه لما كان من أهل السعادة قطعا ، لا جرم قال (إن الله معنا) ، إذ لم يكن ثم إلا نبى وصديق . . . . »(١) .

بعد أن أقسم الله سبحانه وتعالى لرسوله وحبيبه محمد صلوات الله عليه وسلامه بآيتين عظيمتين ألا وهما الضحى والليل وأكد له المولى أنه مواصله بالوحى ، وما كان انقطاعه عن قلى أو بغض كما توهم الكفار والشامتون ، إنما لحكمة أرادها الله سبحانه ليعد رسوله للأمانة العظمى التى حمله إياها وأنزلها عليه نوراً وهداية ورحمة للناس أجمعين تأتى الآيتان الكريمتان تحملان من البشرى ما يثلج صدر النبى صلى الله عليه وسلم ، ويبهج نفسه ، ويلقى فيها الطمأنينة والرضى ، وكأن الله قال له :

إن أحوالك فى مستأنف حياتك خير لك مما مضى منها ، وإن كل يوم ستزداد عزاً إلى عز فلا تزال ترى فى نفسك زيادة فى الكمال ، وفى أمرك ظهورا ، وفى دينك علواً ، وفى أمتك اتساعًا ، وفى آخرتك نعيما وقربى من ربك .

وصدق الله وعده لنبيه المصطفى ، فما زال يسمو به ويعلو ويرفع

---

(١) التفسير الكبير ٢١١/٣٢ .

درجته يوماً بعد يوم حتى بلغ الغاية التى لم يبلغها أحد قبله ، إذ رفع الله ذكره بعد أن شرح صدره ، ووضع عنه وزره ، ويسر له أمره وجعله رسول الرحمة والهداية والنور والعلم بشيراً ونذيراً إلى الخلق أجمعين.

وجعل محبة الرسول من محبته جل وعلا ، وجعل أُمته شهداء على الناس جميعا ، ونشر دينه وبلغ دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها ، فهذا الفضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

قال ابن عباس :

أرى النبى صلى الله عليه وسلم ما يفتح الله على أُمته بعده فسُرّ بذلك ،

ألم يجدك يتيماً فآوى :

يجدك من الوجود الذى بمعنى العلم . اليتم بالضم الانفراد أو فقدان الأب ويتم من بابى ضرب وعلم .

يقال : يتم ييتم يُتما ويَتما إذا فقد أباه(١) وهو فى الناس من قبل الأب ، وفى البهائم من قبل الأم(٢) .

فآوى : قرأ الجمهور بالمد ، فيكون الفعل رباعياً أى أنزلك الله منزلة طيبة .

وقرأ أبو الأشهب العقيلى(٣) أوى فيكون الفعل ثلاثيا والمعنى رحمك .

---

(١) مادة يتم القاموس المحيط ١٩٥/٤ .

(٢) معانى القرآن للزجاج١/١٦٣ واعجب العجب فى شرح لاميه العرب للزمخشرى ١٢٦ .

(٣) البحر المحيط ٤٨٦/٨

أخذت الآيات الكريمة فى بيان آلاء الله ومننه على نبيه وحبيبه صلوات الله عليه وسلم وفيها :

إن الله سبحانه وتعالى تعهد نبيه بالرعاية منذ صغره ، فقد ولد يتيما إذ توفى أبوه وهو فى بطن أُمه ، فلما ولد عليه الصلاة وأزكى السلام رعاه جده عبد المطلب ، ثم توفيت أُمه ، وله من العمر ست سنوات وقيل : ثمانى سنوات(١)ومات جده،فكفله عمه أبو طالب ، وظل فى كنفه يحوطه برعايته ، ولم يزل ينصره ويرفع قدره حتى ابتعثه الله على رأس الأربعين فكان له السد المنيع يدفع عنه أذى الكفار على الرغم أنه على دينهم من عبادة الأوثان وما كان وقوفه بجانب ابن أخيه إلا من حفظ الله ورعايته وعنايته له .

سُئل جعفر بن محمد الصادق : لم أوتم النبى صلى الله عليه وسلم من أبويه ؟ فقال : لئلا يكون لمخلوق عليه حق(٢) .

قال الزمخشرى :

ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة ، وأن المعنى : ألم يجدك واحداً فى قريش عديم النظير فآواك (٣) .

وقال البروسوى :

وإنما جعله الله يتيما ؛ لئلا يسبق على قلب بشر أن الذى ناله من

---

(١) المرجع السابق .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩٦/٢٠ ، والبحر المحيط ٤٨٦/٨ .
(٣) الكشاف ٢٦٤/٤ .

العز والشرف كان عن تظاهر نسب أو توارث مال أو نحو ذلك(١).

وورد لفظ «يتيم» فى القرآن الكريم مفرداً ومثنى وجمعا أما المفرد فذكر فى ثمانى آيات هى :—

١ — ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ﴾ الأنعام ١٢٥

٢ — ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ﴾ الإسراء ٣٤

٣ — ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ الإنسان ٨

٤ — ﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم ﴾ الفجر ١٧

٥ — ﴿ أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة ﴾ البلد ١٥

٦ — ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ الضحى ٦

٧ — ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ الضحى ٩

٨ — ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ الماعون ٢

وأما المثنى فورد ذكره فى آية واحدة هى :—

﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾ الكهف ٨٢

وجمع يتيم على يتامى كأسير وأسارى قال الزمخشرى : إن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى ؟ قلت : فيه وجهان : أن يجمع على يتمى كأسرى ؛ لأن اليتيم من وادى الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجرى اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فيقال : يتائم ثم يتامى على القلب(٢) .

---

(١) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للبروسوى ٥٦١/٤ .

(٢) الكشاف ٤٩٤/١ .

وذكر الجمع معرفًا سواء بال التعريف أو بالإضافة لمعرفة فى أربع‌عشرة آية هى :

١ – ﴿ لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى ﴾ البقرة ٨٣

٢ – ﴿وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ﴾ البقرة١٧٧

٣ – ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ﴾ البقرة ٢١٥

٤ – ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير ﴾ البقرة ٢٢٠

٥ – ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ النساء ٢

٦ – ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ النساء ٣

٧ – ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ﴾ النساء ٦

٨ – ﴿ وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ النساء ٨

٩ – ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً ﴾. النساء ١٠

١٠ – ﴿وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين﴾ النساء ٣٦

١١ – ﴿قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء ﴾ النساء ١٢٧

١٢ – ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ النساء ١٢٧

١٣ – ﴿ فإن لله خُمُسَهُ وللرسول ولذى القربى واليتامى ﴾ الأنفال ٤١

١٤ – ﴿ فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ الحشر ٧

ووجدك ضالا فهدى :

اختلف المفسرون فى المقصود بالضلال فى الآية الكريمة فجاءت آراؤهم على النحو التالى :

١ – المقصود أنه ضل صغيرا من مرضعته حليمة حين فطمته وأرادت إرجاعه ، إذ ضل منها فى الطريق فصاحت وامحمداه ، فأشار عليها شيخ فانٍ يتوكأ على عصاه بالذهاب إلى الصنم الأعظم ؛ ليرده عليها ، وطاف الرجل بالصنم قائلا : يارب لم تزل منتك على قريش ، وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده إليها إن شئت ، فانكب (هُبَل) على وجهه وتساقطت الأصنام فارتعد الشيخ ، وقال لها : إن لابنك ربًّا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فخرج الناس يطلبونه فى جميع مكة فلم يجدوه ، فطاف عبد المطلب بالكعبة وتضرع أن يرده الله قائلا :

يارب رُدّ ولدى محمدا
اردده رَبِّ واتخذ عندى يدا
يارب إن محمدًا لم يوجدا
فشمل قومى كلهم تبددا

فسمعوا منادياً ينادى فى السماء : معاشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد رباً لايخذله ولايضيعه ،وإن محمدا بوادى تهامة عند شجرة السَّمْر ،فوجده عبد المطلب عند الشجرة يلعب بالأغصان والأوراق (١).

---

(١) القرطبى ٩٨/٢٠ .

وقال سعيد بن جبير :

خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب فى سفر فأخذ إبليس بزمام الناقة فى ليلة ظلماء ، فعدل بها عن الطريق ، فجاء جبريل عليه السلام ، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الهند ورده إلى القافلة ، فمن الله عليه بذلك .

٢ - وفسره الفراء(١)على حذف مضاف أى فى قوم ضلال ؛ فهداهم الله بك،وارتضاه أبو حيان حيث قال : على حذف مضاف نحو واسأل القرية »(٢) .

٣ - وقال الزجاج : لم يكن يدرى القرآن ولا الشرائع فهداه الله إلى القرآن وشرائع الإسلام ودليل ذلك قوله : وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان» (٣).

٤ - وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها .

٥ - وقيل ضالا أى ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ، فأذكرك الله ، كما قال الله تعالى : أن تضل إحداهما »(٤) .

٦ - وقيل الضلال بمعنى التحير ؛ لأن الضال متحير والمعنى وجدك متحيرا عن بيان ما نزل عليك فهداك إليه .

٧ - وقيل الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى : تالله إنك لفى ضلالك القديم » (٥) .

---

(١) معانى القرآن ٣/٢٧٤ ، إعراب ثلاثين آية ١٢٠ .
(٢) البحر المحيط ٨/٤٨٦ والآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٣) معانى القرآن للزجاج ج ٥/٣٣٩ ، ٣٤٠ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(٥) سورة يوسف آية ٩٥ .

وعلى هذا فالمراد : وجدك محبًا للهداية فهداك إليها .

٨ - وقال بعض المتكلمين : إذا وجدت العرب شجرة منفردة فى فلاة من الأرض لا شجر معها ، سموها ضالة ، فيهتدى بها إلى الطريق ، فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ووجدك ضالا فهدى أى لا أحد على دينك ، وأنت وحيد ليس معك أحد ، فهديت بك الخلق إلىّ .

واختار القرطبىّ الأخير حيث قال : هذه الأقوال كلها حسان، ثم منها ما هو معنوىّ ، ومنها ما هو حسّى ، والقول الأخير أعجب إلىّ ؛ لأنه يجمع الأقوال المعنوية (١) .

ولقد ورد اسم الفاعل « ضال » المشتق من الفعل الثلاثى « ضلّ » فى أربع عشرة آية ، مفرداً فى آية واحدة وهى آية الضحى ووجدك ضالا فهدى » .

وورد جمعاً مرفوعاً فى خمس آيات هى :

١ - ﴿ لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ﴾ آل عمران ٩٠

٢ - ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ الحجر ٥٦

٣ - ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ﴾ الواقعة ٥١

٤ - ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ﴾ القلم ٢٦

٥ - ﴿ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ المطففين ٣٢

كما ورد جمعاً منصوباً فى آيتين هما :

١ - ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين ﴾ المؤمنون ١٠٦

---

(١) تفسير القرطبى ٩٩/٢٠ .

٢ — ﴿ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ﴾ الصافات ٦٩

وورد جمعاً مجروراً فى ست آيات هى :

١ — ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . الفاتحة ٧

٢ — ﴿ واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ . البقرة ١٩٨

٣ — ﴿ فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ﴾ الأنعام ٧٧

٤ — ﴿ قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين ﴾ الشعراء ٢٠

٥ — ﴿ وأغفر لأبى إنه كان من الضالين ﴾ الشعراء ٨٦

٦ — ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم﴾ الواقعة ٩٢

أما اسم الفاعل « مُضل » المشتق من الفعل الرباعى « أضلَّ » فقد ورد فى ثلاث آيات هى :

١ — ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ الكهف ٥١

٢ — ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾ القصص ١٥

٣ — ﴿ ومن يهد الله فما له من مضل ﴾ الزمر ٣٧

والفعل الثلاثى « ضلَّ » ماضياً ومضارعًا ورد فى القرآن الكريم فى اثنتين وخمسين آية ، والفعل الرباعى ورد فى خمس وستين آية .

وورد المصدر الثلاثى فى ثمان وثلاثين آية كما ورد التضليل مصدر « ضَلَّل » بتضعيف العين فى آية واحدة هى :

﴿ ألم يجعل كيدهم فى تضليل ﴾. الفيل ٢

وورد اسم التفضيل « أضل » فى تسع آيات .

ورد الفعل « هدى » ماضياً مبنيا للمعلوم فى تسع وثلاثين آية ومبنيا للمجهول فى ثلاث آيات .

والمضارع « يهدى » مبنيا للمعلوم فى تسع وتسعين آية ومبنيا للمجهول فى آية واحدة .

أما الأمر من الثلاثى فقد ورد فى ثلاث آيات .

وورد الفعل « اهتدى » على وزن « افتعل » ماضيا فى ثلاث عشرة آية ومضارعاً فى ست وعشرين آية .

وورد اسم الفاعل من الثلاثى « هاد » فى عشر آيات واسم الفاعل من الخماسى « مهتد » فى إحدى وعشرين آية وورد اسم التفضيل فى سبع آيات .

أما « الهدى » فقد ورد فى خمس وثمانين آية .

ووجدك عائلا فأغنى :

عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر ، والعائل هو ذو العيلة وأُطلق العائل على الفقير ، وإن لم يكن له عيال .

أما عال الرجل يعول فبمعنى جار أى لم يعدل ومنه قوله تعالى : « ذلك أدنى ألا تعولوا » (١) .

وقراءة الجمهور « عائلا » وقرءاة اليمانى وابن السميقع عيِّلا بتشديد الياء المكسورة مثل هيِّن وطيِّب » (٢)

(١) سورة النساء آية ٣
(٢) البحر المحيط ٤٨٦/٨ ، وتفسير القرطبى ١٠٠/١٠

قال الفراء : ورأيتها فى مصاحف عبدالله « عديما » والمعنى واحد» (١).

وقال أبو عبيدة : عائلا : ذو عيال (٢).

والفعل الرباعى أعال يعيل إذا كثر عياله .

وورد فى الإغناء عدة أقوال منها :

١ — إن الله سبحانه وتعالى أغناه بتربية أبى طالب له ، ثم أغناه بمال زوجه خديجة ، ثم أغناه بمال أبى بكر وبعده أغناه بإعانة الأنصار وأغناه بالغنائم .

٢ — إن الله سبحانه وتعالى أغناه بأصحابه كانوا يعبدون الله سرًا حتى قال عمر حين أسلم : ابرز أتعبد اللات جهرا ونعبد الله سرا ! فقال عليه السلام : حتى تكثر الأصحاب فقال : حسبك الله وأنا فقال تعالى : ﴿حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ (٣) فأغناه الله بمال أبى بكر وبهيبة عمر .

٣ — إن الله سبحانه وتعالى أغناه بالقناعة والصبر ، فصار صلوات الله عليه وسلم بحال يستوى عنده الحجر والذهب .قال صلى الله عليه وسلم : ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس»(٤).

٤ — إن الله سبحانه وتعالى أغنى أمة محمد به ؛ لأنهم فقراء بسبب جهلهم ، والنبى الكريم صاحب العلم فهداهم على يديه(٥) .

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣/٢٧٤ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨/٧٠٩ .

(٣) سورة الأنفال آية ٦٤ .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

(٥) التفسير الكبير ٣٢/٢١٨ .

ولم ترد مادة « عيل » إلا في موضعين الأول اسم الفاعل في الآية الكريمة « عائلا فأغنى » والثاني المصدر « عيلة » في قوله تعالى : ﴿ وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ (١) .

والآيتان السابقتان « ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » معطوفتان على الكلام قبله « ألم يجدك يتيماً » وورد العطف بكلام مثبت على الكلام المنفى ؛ لأن المراد من النفى الإثبات وهو كثير في القرآن الكريم ومنه « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك » (٢) .

و الفعل « وجد » مفعوله الأول الضمير المتصل ويعود على النبي صلى الله عليه وسلم ، والمفعول الثاني « ضالا » للفعل الأول و « عائلا » للفعل الثاني .

والفعلان « هدى » و « أغنى » متعديان وحذف مفعولاهما « الكاف » مراعاة للفواصل .

« فأما اليتيم فلا تقهر » :

القهر : الغلبة والتذليل معاً . قال تعالى : وهو القاهر فوق عباده(٣) .

في قراءة ابن مسعود : فلا تكهر (٤) .

قال الفراء : وسمعتها من أعرابي من بني أسد قرأها علي(٥) .

---

(١) سورة التوبة آية ٢٨ .

(٢) سورة الشرح (١ ، ٢) .

(٣) سورة الأنعام آية ١٨ ، ٦١ .

(٤) ذكرها الفراء في معاني القرآن وأبو حيان في البحر المحيط جـ ٨/٤٨٦ .

(٥) معاني القرآن ٣/٢٧٤ ، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالوية ١٢٢ ، الكشاف ٤/٢٦٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠٠ .

والكهر : القهر والانتهار واستقبالك إنساناً بوجه عابس تهاوناً به(١).

قال ابن خالويه :

والعرب تبدل القاف كافاً والكاف قافاً لقرب مخرجيهما» (٢).

والفعل قهر يقهر مفتوح العين فى الماضى والمضارع ؛ لوجود حرف الحلق (الهاء) . بعد أن بين المولى جل وعلا حال النبى صلى الله عليه وسلم من اليتم والفقر ، وإنعامه عليه برحمته وبفضله العظيم ، وإنزاله منزلا مباركا ، وإغنائه وهدايته إلى الطريق المستقيم فصار نوراً وهداية للمسلمين – جاءت الآيات الثلاث الأخيرة بوصايا عظيمة وحكما بالغة من رب العزة سبحانه وتعالى لنبيه الكريم.

فالآية الكريمة « فأما اليتيم فلا تقهر » وصية تقابل قوله تعالى : ألم يجدك يتيماً فآوى والمراد والله أعلم :

إنك يا محمد ذقت مرارة اليتم وعذابه ، فباعد عنك ربك ذل اليتم وآواك ، فتذكر ذلك وارع اليتيم ولا تغلبه على ماله وحقه ، ولا تزجره بل أكرمه وأعطه وأحسن إليه .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أبر الناس باليتامى . وكثيراً ما أوصى بهم خيراً . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عال ثلاثة من الأيتام ، كان كمن قام ليله وصام نهاره ، وغدا وراح شاهراً سيفه فى سبيل الله ، وكنت أنا

(١) مادة (قهر) القاموس المحيط ١٢٨/٢ .

(٢) إعراب ثلاثين سورة لابن خالوية ١٢٢ .

وهو فى الجنة إخوانا كما أن هاتين أختان ، وألصق إصبعيه السبابة والوسطى . رواه ابن ماجه .

وفى سنن أبى داود : حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز – يعنى ابن حازم – قال : حدثنى أبى عن سهل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة ، وقرن بين إصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام . أخرجه البخارى(١) .

وشكا رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال : إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس يتيم وأطعم المسكين (٢) .

وقال عدى بن حاتم : قال عليه الصلاة والسلام : من ضم يتيماً له أو لغيره حتى يعينه الله عنه وجبت له الجنة(٣) .

ومما ورد أيضاً حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالى لملائكته : يا ملائكتى . من ذا الذى أبكى هذا اليتيم الذى غيبت أباه فى التراب ؟ فتقول الملائكة : ربنا أنت أعلم ، فيقول الله تعالى لملائكته : يا ملائكتى اشهدوا من أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة ..

---

(١) أخرجه البخارى ١٠/٨ باب فضل من يعول يتيماً ، والترمذى فى البر حديث ١٩١٩ باب رحمة اليتيم وقال حديث حسن صحيح .

(٢) رواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق والبيهقى حديث ضعيف .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط ، حديث حسن : الجامع الصغير ٦٢٠/٢ .

قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم . وقال أكثم بن صيفى : الأذلاء أربعة : النمام ، والكذاب ، والمديون ، واليتيم (١).

ولم يرد الفعل « تقهر » فى القرآن الكريم إلا فى هذه الآية وورد الاسم على وزن فاعل فى ثلاث آيات هى :

﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ الأنعام ١٨

﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظه ﴾ الأنعام ٦١

﴿ ونستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ﴾ الأعراف ١٢٧

كما ورد « قهار » على وزن فَعَّال فى ست آيات هى :

١ — ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الواحد القهار ﴾ يوسف ٣٩

٢ — ﴿ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ الرعد ١٦

٣ — ﴿ وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ إبراهيم ٤٨

٤ — ﴿ قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار ﴾ ص ٦٥

٥ — ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ الزمر ٤

٦ — ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ غافر ١٦

وأما السائل فلا تنهر :

السائل : المستعطى الذى يقف ببابك يستجدى وقيل السائل عن العلم والدين لا سائل المال فعلى الأول تكون الآية بإزاء قوله تعالى : ووجدك عائلا فأغنى ، وعلى الثانى تكون الآية بإزاء ووجدك ضالا فهدى (٢).

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠١ .

(٢) التفسير الكبير للرازى ٣١/٢١٩ .

والنهر والنهم الزجر بمعنى يقال : نهره وانتهره(١) . والمعنى والله أعلم :

أن الله سبحانه وتعالى يوصى رسوله الكريم بالسائل خيراً ، فإما إن يعطيه ، وإما أن يرده رداً لينا فلا يهينه ولا يزجره (٢) . وليتذكر حاله من يتم وفقر ثم فضل الله عليه وإنعامه .

قال قتادة : لا تزجره فهو نهى عن إغلاظ القول ، ولكن رده ببذل يسير أو رد جميل .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : ردوا السائل ببذل يسير أو رد جميل ؛ فإنه يأتيكم من ليس من الإنس ولا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله (٣) .

وروى أيضاً عنه صلوات الله عليه وسلامه . أعطوا السائل وإن جاء على فرس(٤) .

روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يمنعن أحدكم السائل ، وأن يعطيه إذا سأل ، ولو رأى فى يده قلبين من ذهب(٥).

قال ابن العربى عن السائل عن الدين :

وأما السائل عن الدين فجوابه فرض على العالم على الكفاية كإعطاء سائل البر سواء .

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى ٦٥٦ ، والقاموس المحيط ١٥٦/٢ .
(٢) معانى القرآن للفراء ٢٧٥/٣ والبحر المحيط ٤٨٦/٨ ؛
(٣) ذكره القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ١٠١/٢٠ ؛
(٤) ذكر لابن عدى فى الكامل عن أبى هريرة وهو حديث ضعيف .
(٥) قلبين بضم الأول وسكون ثانيه ومفرده قلب أى السوار .

ولقد كان أبو الدرداء ينظر إلى أصحاب الحديث ، ويبسط رداءه لهم ويقول : مرحباً بأحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وورد لفظ « سائل » مفرداً فى أربع آيات هى :

١ — ﴿ وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ الذاريات١٩

٢ — ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ المعارج ١

٣ — ﴿ والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ المعارج ٢٤، ٢٥

٤ — ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ الضحى ١٠

وورد جمعاً فى ثلاث آيات هى :

١ — ﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين ﴾ البقرة ١٧٧

٢ — ﴿ لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ يوسف ١٧

٣ — ﴿ فى أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ فصلت ١٠

ولا يخفى أن المقصود بالسائل فى البقرة والذاريات والمعارج آية ٢٥ الطالب الجدوى والنفع ، طالب المال فهو فقير معدم لا حول له ولا قوة . يستجدى المال لفقره .

أما السائل فى سورة يوسف وفصلت فيقصد به الطالب المستفهم عن قصة يوسف مع إخوته والمستفهم عن مدة خلق الأرض وما فيها .

وفى آية المعارج «سأل سائل بعذاب واقع » فالمقصود بالسائل الداعى فهو طالب أيضاً لكنه طلب شر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : هو

النضر بن الحرث قال — إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم(١) قال الفراء : فأسر يوم بدر فقتل صبرًا هو وعقبة »(٢) .

وورد اسم المفعول « مسؤول » فى خمس آيات هى :

١ —﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ﴾ الإسراء ٣٤

٢ — ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ الإسراء ٣٦

٣ — ﴿ لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا ﴾ الفرقان ١٦

٤ — ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا ﴾ الأحزاب١٥

٥ — ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ الصافات ٢٤

أما الفعل الماضى فقد ورد ثلاثياً مبنياً للمعلوم وللمجهول فى إحدى وعشرين آية وورد المضارع من الثلاثى فى ثمان وستين آية ، وورد على وزن « تفاعل » فى تسع آيات مرفوعاً ومنصوباً ومنه قوله تعالى :

﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ﴾ النساء ١

﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ﴾ الكهف ١٩

وذكر الأمر من الثلاثى فى ست عشرة آية ومنه قوله تعالى :

---

(١) الكشاف للزمخشرى ١٥٦/٤ .

(٢) معانى القرآن للفراء ١٨٣/٣ .

﴿ وسألوا الله من فضله ﴾ النساء آية ٣٢

أما الفعل « تنهر » فذكر فى آيتين منهيا عنه فيهما :

١ – ﴿ فلا تقل لهما أُف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾ الإسراء ٢٢

٢ – ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ . الضحى ١٠

وأما بنعمة ربك فحدث :

حدِّث بمعنى خبِّر ، والمقصود بنعمة ربك :–

١ – قال الفراء: القرآن أعظم نعمة الله عليه ، فكان يحدث به وبغيره من النعم(١).

٢ – قال مجاهد والكلبى : بث القرآن وبلغ ما أرسلت به(٢).

٣ – وقال آخرون ؛ هى عموم النعم ، وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : إذا أصبت خيراً أو عملت خيراً فحدِّث به الثقة من إخوانك(٣).

٤ – وقال الزمخشرى : التحديث بالنعم شكرها وإشاعتها(٤) قال بكر بن عبد الله المزنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أعطى خيرا فلم ير عليه ، سمى بغيض الله ، معادياً لنعم الله وروى الشعبى

---

(١) معانى القرآن للفراء ج ٣/٢٧٥ .
(٢) البحر المحيط ج ٨/٤٨٧ .
(٣) تفسير القرطبى ج ٢٠/١٠٢ .
(٤) الكشاف ج ٤/٢٦٥ .

عن النعمان بن بشير قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من لم يشكر القليل ، لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب (١) .

وروى النسائى عن مالك بن نضلة الجشمى قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ، فرآنى رثَّ الثياب فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم يا رسول الله من كل المال ، قال : إذا أتاك الله مالاً فليُر أثره عليك .

وروى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله جميل يحب الجمال ، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده(٢) .

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده بإسناد لا بأس به ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف باختصار .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم والترمذى عن ابن مسعود .



الباب الثانى

مع النحاة فى سورة الضحى

(أ) القســم
(ب) اجتماع الشرط والقسم
(ج) إذا
(د) الــلام
(هـ) سوف
(و) الفـــاء
(ز) الهمـــزة
(ح) الجمل فى السورة
(ط) أمــا .

القسم

بدأت السورة العظيمة بالقسم «والضحى»، تأكيداً من الله جل وعلا لنبيه وحبيبه المصطفى ، على أنه ما قطعه وما قلاه ؛ بل مواصله بالوحى والرحمة .

ومن المعلوم أن النفس البشرية فى كل زمان ومكان فى حاجة ماسة إلى تأكيد خبر تسمعه ، أو وعد تطمع فيه ، والرغبة ملحة فى الاطمئنان إلى ما يقال مما جعلهم يستنبطون القسم ؛ لأنه من أساليب تأكيد الكلام .

ولقد عبروا عنه بمصافحة اليد اليمنى لليد اليمنى ، كما عبروا عنه بأخذ عطر فاقتسموه بينهم ، ومسحوا به أيديهم ، فراحوا وعبقة يضوع من أيديهم وثيابهم ، وقصة عطر منشم معروفة ومشهورة .

كما عبروا عنه بالحبل ، فقد وصل بعضهم حبله بحبل الآخر ، فصار الحبل اسماً لعقد الذمة والجوار ، قال تعالى : ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبلٍ من الناس﴾(١) .

ونجدهم سموه «أليَّة» ويقصدون به الكف عن شىء من غير شرط قال تعالى :﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾(٢) وتوسعوا فى استعمال «الألية» فصار «آليت» بمعنى أقسمت واستعملوا «أقسم» وأصله من القسامة ، وهى الأيمان تقسم على الأولياء فى الدم .

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٦ .

والقسم بفتح الأول والثانى : اليمين ، وكذلك المقسم « المصدر » والجمع أقسام ، وقاسمه واستقسمه به حلف له ، وتقاسم القوم تحالفوا قال تعالى : ﴿قالوا تقاسموا بالله لَنبيِّتنَّه وأهله﴾ (١) .

فالقسم فى اللغة هو الحلف واليمين وما فى معناهما كالألية والإيلاء(٢) اللذان يستعملهما الفقهاء فى مباحث الإيمان والإيلاء والشهادات

قال ابن عقيـــل :

ويرادف القسم الألية والحلف والإيلاء واليمين ، والفعل المستعمل من الأولين غير جار عليهما إذ هو أقسم وآلى ومن الثالث جار عليهما حلف وآلى ، والخامس لم يستعمل منه جار ولا غيره »(٣).

ولقد وردت أفعال جارية مجرى القسم فكان لها جواب ، وصارت مستحقة لأحكام القسم ومن هذه الأفعال : أخذ وتأذن وعهد وعاهد وتم ، وكتب ، والفعل وعد ، وقضى ، وشهد وعلم . ومن أمثلتها فى القرآن الكريم :

١ – ﴿ وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله ﴾ (٤).
٢ – ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ (٥) .

---

(١) سورة النمل آية ٤٩ .
(٢) انظر أساس البلاغة والصحاح والقاموس المحيط ولسان العرب فى مادة « قسم »
(٣) شرح ابن عقيل على تسهيل الفوائد ٣٠٢/١ .
(٤) سورة البقرة آية ٨٣ وانظر الكشاف ٢٩٣/١ .
(٥) سورة الأعراف آية ١٦٧ وانظر الكشاف ١٢٧/٢ .

٣ — ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾ (١).

٤ — ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ﴾ (٢).

٣ — ﴿ وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (٣).

٤ — ﴿كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه﴾(٤)

٥ — ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ﴾ (٥)

٦ — ﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين﴾ (٦).

٧ — ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (٧).

٨ — ﴿ قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ﴾ (٨).

ولقد نص سيبويه على إجراء هذه الأفعال مجرى القسم حيث قال :

« واعلم أن من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين يجرى الفعل بعدها مجراه بعد قولك والله ، وذلك قولك . أقسم لأفعلن وأشهد لأفعلن ، وأقسمت بالله عليك لتفعلن »(٩).

---

(١) سورة يس آية ٦٠ .
(٢) سورة الأحزاب آية ١٥ .
(٣) سورة هود آية ١١٩ وانظر معانى القرآن للفراء ٣١/٢ .
(٤) سورة الأنعام آية ١٢ .
(٥) سورة النور آية ٥٥ .
(٦) سورة الإسراء آية ٤ وانظر الكشاف ٤٣٨/٢ .
(٧) سورة المنافقون آية ١ .
(٨) سورة يس آية ١٦ وانظر المقتضب ٣٢٥/٢ .
(٩) الكتاب ١٠٤/٣ .

وقد سماه النحاة القسم غير الصريح(١).

وللقسم أغراض هامة منها :

١ – تحقيق المقسم عليه وتوكيده كقسمه جل وعلا على البعث والحشر والحساب .

٢ – تمثيل الأُمور الغائبة المعنوية بالأُمور المشاهدة المحسوسة لتتمكن فى النفس كقسمه سبحانه وتعالى بالصبح وبالنهار وبالضحى وبالشمس وبالليل ، وذلك ليجلو معانى . الهدى والإيمان فى النفوس بالتأثير والروعة الإلهية .

٣ – تصحيح العقائد الباطلة ، فالقسم بالنجم إذا هوى وأمثاله فيه رد من اعتقدوا بأُلوهية الكواكب .

٤ – لفت الأَنظار إلى أحداث بارزة كالقسم بالطور والبلد الأَمين.

٥ – لفت الأَنظار إلى الكون وما يحتويه من حقائق غريبة أو أسرار عجيبة ، وما فيه من نظام بديع محكم .

٦ – إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) .

وأسلوب القسم يتكون من ثلاثة أركان :

١ – حرف القسم .

٢ – المقسم به .

٣ – المقسم عليه .

---

(١) ارتشاف الضرب ٤٧٥/٢ .

(٢) اللام الموطئة للقسم د. زين كامل ص ٣٤ ، ٣٥ .

ويسمون حرف القسم والمقسم به جملة القسم ، والمقسم عليه هو جملة جواب القسم .

وتنقسم جملة القسم إلى قسمين :

١ — جملة فعلية .

٢ — جملة اسمية .

أولا : الجملة الفعلية :

ومنه قوله تعالى : ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنّه وأهله ﴾ (٣) .

وورد فعل القسم مسبوقا بلا وهى زائدة والغرض من زيادتها تأكيد القسم(٤) ومنه قوله تعالى :

﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ (٦) .

ثانياً : الجملة الإسمية :

وهى على ضربين :

الأول : ما صدر بلفظ خاص بالقسم لا يكون فى غيره كأيمن الله ولعمرك

(١) سورة التوبة آية ٥٦ .

(٢) سورة النحل آية ٣٨ .

(٣) سورة النمل آية ٤٩ .

(٤) معانى القرآن للزجاج ٣٥/٥ والكشاف ١٨٩/٤ وإملاء ما من به الرحمن للعكبرى ٢٧٤/٢ .

(٥) سورة القيامة (١) .

(٦) سورة البلد (١) .

ويعرب مبتدأ حذف خبره وجوبا ومنه قوله تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾(١) .

الثانى : ما صدر بلفظ غير خاص بالقسم كأمانة الله ، وعهد الله ، ومن استعماله فى القسم . عهد الله لأثابرنّ فى طلب العلم .

ومن استعماله فى غير القسم قوله تعالى: ﴿وأفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾(٢) وهذا الضرب يجوز فيه حذف الخبر وذكره .

ولقد أقسم العرب فى الجاهلية بعمرهم وحياتهم وبالعزه والرأس والجلد ؛ لأنها من الأمور المكرمة الغالية عندهم فيحلف بها الحالف تكريماً لنفسه أو تكريماً لمن يخاطبه .

ولأن اللغة العربية سمتها الإيجاز والاختصار فقد يستغنى عن الجملة الفعلية والاسمية فى القسم بحروف القسم وهى :

١ — البـــاء :

وهو الأصل فى القسم ؛ لأنه الحرف الذى يعدى به الحلف ، يقال أحلف بالله ، وأقسم بالله وتجر الظاهر والمضمر وقد يأتى المقسم به منصوباً بعد حذف الحرف الجار نحو الله لأخرجنَّ ؛ لأن المعنى : أحلف بالله (٣) .

٢ — الـــواو :

وهى مبدلة من الباء ، وأخف استعمالا من سابقتها غير أن لها ثلاثة شروط هى : —

(١) سورة الحجر آية ٧٢ .
(٢) سورة البقرة آية ٤٠ .
(٣) سورة المقتضب للمبرد ٣٢١/٢ .

(أ) حذف فعل القسم معها فلا يقال : أقسم والله .

(ب) عدم استعمالها فى قسم الطلب فلا يقال : والله أخبرنى .

(ج) ألَّا تجر إلا الظاهر .

ومنه قوله تعالى : «فوربك لنحشرنهم والشياطين »(١) وقوله تعالى ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾(٢) .

ووردت الواو للقسم فى خمس عشرة سورة مفتتحة بها وهذه السورة هى :

١ ـ ﴿ والصافات صفا فالزاجرات زجرًا ﴾	الصافات (١، ٢)
٢ ـ ﴿ والذاريات ذروا ﴾	الذاريات (١)
٣ ـ ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾	الطور (١، ٢)
٤ ـ ﴿ والنجم إذا هوى . ﴾	النجم (١)
٥ ـ ﴿ والمرسلات عرفًا فالعاصفات عصفا ﴾	المرسلات (١، ٢)
٦ ـ ﴿ والنازعات غرقا والناشطات نشطاً ﴾	النازعات(١ ، ٢)
٧ ـ ﴿ والسماء ذات البروج ﴾	البروج(١)
٨ ـ ﴿ والسماء والطارق﴾	الطارق (١)
٩ ـ ﴿ والفجر وليال عشر ﴾	الفجر (١، ٢)
١٠ ـ ﴿ والشمس وضحاها ﴾	الشمس (١)
١١ ـ ﴿ والليل إذا يغشى﴾ .	الليل (١)

(١) سورة مريم آية ٦٨ .
(٢) سورة الضحى (١) .

١٢ — ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ الضحى (١، ٢)

١٣ — ﴿ والتين والزيتون وطور سينين ﴾ التين (١، ٢)

١٤ — ﴿ والعاديات ضبحا فالموريات قدحا ﴾ العاديات (١، ٢)

١٥ — ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ﴾ العصر (١، ٢)

وبملاحظة الآيات الكريمة نجد واواً ثانية بعد المقسم به ، فهل هى حرف قسم ثان ؟

تعرض النحاة لهذا الحرف بالذكر وعدُّوه حرفا عاطفا لا حرف قسم.

قال سيبويه :

قلت للخليل : فلم لا تكون الأخريان — يقصد الواو فى والنهار — بمنزلة الأُولى — الواو فى والليل — ؟ فقال : إنما أقسم بهذه الأَشياء على شيءٍ واحد ولو كان انقضى قسمه بالأَول على شيءٍ لجاز أن يستعمل كلاماً آخر فيكون كقولك بالله لأَفعلن بالله لأَخرجنَّ اليوم ولا يقوى أن تقول : وحقك وحق زيد لأَفعلن والواو الأُخرى قسم لا يجوز إلا مستكرها ؛ لأَنه لا يجوز هذا فى محلوف إلا أن نضم الآخر إلى الأَول وتحلف بهما على المحلوف عليه» (١).

قال ابن خالويه :

الواو الثانية عاطفة ؛ لأَنه يصلح فى وضعها ثم والفاءوثم لا تكون قسماً » (٢).

---

(١) الكتاب ٥٠١/٣ معانى القرآن للأخفش ٧٤٠/٢ شرح ابن يعيش على المفصل ١٠٦/٩ ، وشرح الرضى على الكافية ٣٣٧/٢ ومغنى اللبيب لابن هشام ٤٧٣ .

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ١١٦ .

وقال أبو البقاء العكبرى :

الواو الأولى للقسم وما بعدها للعطف »(١) .

الثالث من حروف القسم : التاء

وهى بدل من الواو ، فقد قالوا : تراث وتجاه والأصل وراث ووجاه وتستعمل مع لفظ الجلالة وحده ومنه قوله تعالى :

﴿ تالله لتسألنّ عما كنتم تفترون ﴾(٢)

﴿ وتالله لأكيدنّ أصنامكم ﴾ (٣).

وحكى عن الأخفش أنه قيل : ترب الكعبة لأفعلنّ (٤) ، كما حكى السيوطى قولهم : تالرحمن وتحياتك .

قال المرادى فى الجنى الدانى : «وذلك شاذ»(٥) .

الرابع : اللام :

وتكون للقسم والتعجب معاً ، وتختص باسم الله تعالى(٦) ومنه قول مالك بن خالد الخناعى :

---

(١) إملاء ما من به الرحمن للعكبرى ٢٨٨/٢ .
(٢) سورة النحل آية ٥٦ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٥٧ .
(٤) شرح الرضى ٣٣٤/٢ الجنى الدانى ٥٧ ، ابن عقيل فى شرحه على الألفية ١٢/٢ وشرح السيوطى عليها ٩٧ .
(٥) الجنى الدانى للمراوى ٥٧ .
(٦) مغنى اللبيب ٢٨٣ .

لله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخرٍ به الظيّان والآس (١)

وفيه نفي مقدر : أي لا يبقى .

الخامس : من بكسر الميم وبضمها أحياناً :

وتختص بلفظ «ربي» ومنه قولهم : من ربي إنك لأشر(٢) وقيل فيه : إن من بكسر الميم مقصورة من يمين ، وبضمها مقصور من ايمن .

قال الرضى :

وفيه نظر ، لأن ايمن مختص بالله أو بالكعبة ومن مختصة بلفظ ربي ولا منع أن يقال تغير حكمه عند اختصاره (٣) .

السادس : الميم المكسورة :

قال ابن يعيش :

ذهب قوم إلى أن الميم فى م الله بدل الواو ؛ لأنها من مخرجها وهو الشفه أبدلت منها كما أبدلت فى فم وأصلها فوه (٤) .

ثانياً : جواب القسم :

يأتى جواب القسم (المقسم عليه) على ضربين :

١ — جملة اسمية . ٢ — جملة فعلية .

---

(١) نسبه سيبويه إلى أمية بن عائذ فى الكتاب ٤٩٧/٣ وهو من شواهد المقتضب ٢ : ٣٢٤ والجمل للزجاجى٧١،شرح ابن هشام على الجمل ١٥٨ وأمالى ابن الشجرى ٣٦٩/١ ، وشرح المفصل ٩ : ٩٨ ، ٩٩ ، همع الهوامع ٢ : ٣٢ ، ٣٩ ، شرح الأشمونى ٢ : ١١٦ ، وخزانة الأدب ٤ : ٢٣١ ،

(٢) الكتاب ٣ : ٤٩٩ .

(٣) شرح الرضى على الكافية ٣٣٤/٢ .

(٤) شرح ابن يعيش على المفصل ١٠٠/٩ .

أولا - الجواب جملة اسمية :

والجملة الاسمية إما أن تكون مثبتة وإما أن تكون منفية فإن كانت مثبتة تصدرتها أنَّ مشددة أو مخففة أو لامَ الابتداء .

قال الرضى : وإنما أجيب القسم بهما لأنهما مفيدان للتأكيد الذى لأجله جاء القسم (١) .

ومن الجواب بالجملة الاسمية المثبتة المتصدرة بأنَّ المشددة قوله تعالى : ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ (٢) .

وبإن المخففة من الثقيلة فى قوله تعالى : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ (٣) .

ومن تصدرها باللام قوله تعالى :﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليًا ﴾(٤) وقوله تعالى :﴿ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله﴾(٥).

أما إذا كانت جملة الجواب اسمية منفية فالراجب أن تتصدر بما النافية أو بلا التبرئة أو بإن النافية .

نحو : والله ما زيد فيها ولا عمرو ، والله لا رجل فى الدار .

والله إن زيدٌ قائم . قال تعالى :﴿ لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك ﴾ (٦) .

---

(١) شرح الرضى ٣٣٨/٢ .
(٢) سورة الزاريات آية ٢٣ .
(٣) سورة الطارق آية ٤ .
(٤) سورة مريم آية ٧٠ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٥٧ .
(٦) سورة المائدة آية ٢٨ .

ثانياً : الجواب جملة فعلية :

وتنقسم بحسب زمان فعلها إلى قسمين :

أولا : الفعل المضارع :

وهو بدوره إما أن يكون دالا على الاستقبال أو على الحال ، فإن كان مستقبلا والكلام مثبتاً ، فالأكثر فيه أن يتقدمه اللام وتتصل بآخره نون التوكيد الثقيلة ومنه قوله تعالى : ﴿ ليسجننَّ وليكوناً من الصاغرين ﴾ (١) وقد يكتفى باللام وذلك فى صورتين :

الأولى :إذا فصل بينها وبين المضارع ومنه قوله تعالى : ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ (٢) .

قال ابن الأنبارى :

لم تدخل النون مع اللام فى الجواب ؛ لأنه فصل بين اللام والفعل بالجار والمجرور ، فلما فصل بينهما لم يأت بالنون ؛ لأن النون إنما تدخل مع هذه اللام لئلا تشتبه بلام الابتداء ، وههنا قد زال الاشتباه بدخول اللام على الجار والمجرور وهما فضلة ، ولام الابتداء لا تدخل على الفضلة » (٣) .

الثانية : إذا دخلت على حرف التنفيس :—

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (٤) .

---

(١) سورة يوسف آية ٣٢ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٥٨ .
(٣) البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى ٢٢٩/١ .
(٤) سورة الضحى آية ٥ وانظر الارتشاف ٤٦٨/٢ .

وإن كان المضارع دالا على الحال وجب الاكتفاء باللام وحدها ولا يؤتى بالنون ؛ لأنها علامة استقبال وتنافى الحال .

وقد يستغنى بالنون عن اللام فى ضرورة الشعر كقول الشاعر :

وقتيل مُرَّةَ أَثْأَرَنَّ فإنه فِرغٌ وإنَّ أخاكم لم يُثْأَر(١)

وأصل اللام : لأثأرن :

أما إذا كان المضارع منفيا فالجمهور على أن النفى يكون بما وإن ولا وأجاز ابن مالك النفى بلن ولم (٢) ومنه قول أبى طالب :—

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوارى فى التراب دفينا (٣)

وما حكاه الأصمعى من قول الأعرابى حين سئل : ألك بنون ؟ قال نعم وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة »(٤).

وهو نادر لا يقاس عليه . وقال ابن جنى إنه ضرورة كذا ما قاله ابن هشام : القسم لا يجاب بلن إلا فى الضرورة » (٥).

والسبب فى عدم جواز النفى بلن ولم ما قاله الرضى : لأنهم ينفونه

---

(١) البيت قائله عامر بن الطفيل وهو من شواهد ابن الشجرى فى أماليه ٢٦٩/١ والمغنى ٨٤٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٩٣٥/٢ وخزانة الأدب ٢١٦/٤ .

(٢) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ١٥٢ .

(٣) البيت فى الديوان ص ٤ وانظر مغنى اللبيب ٣٧٥ ، ٨٠٥ ، والجنى الدانى ٢٧٠ وارتشاف الضرب ٤٨٦/٢ ، همع الهوامع ٢٤١/٢ والدرر ٤٥/٢ وشرح شواهد المغنى ٦٨٦/٢ وروايته فى المغنى والدرر : حتى أوسد وبحر البيت الكامل .

(٤) انظر الارتشاف ٤٨٦/٢ .

(٥) مغنى اللبيب ٤٨٦/٢ .

مما يجوز حذفه للاختصار ، والعامل الحرفي لا يحذف مع بقاء عمله وإن أبطلوا العمل لم يتعين النافي المحذوف » (١) .

ومن حذف النافي وهو « لا » قوله تعالى :﴿تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾ (٢)

والتقدير : لا تفتؤ .

الثاني : الفعل الماضي :

إذا كان الجواب جملة فعلية فعلها ماض فهو إما أن يكون الكلام مثبتا ، وإما أن يكون منفيا :-

(أ) فإن كان الفعل ماضيا والكلام مثبتا ، فالأولى الجمع بين اللام وقد ومنه قوله تعالى :﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ (٣) .

ويشترط فيه ألَّا يكون الفعل نعم أو بئس فمعهما تأتي اللام وحدها ومنه قول زهير :

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم(٤)

كما يشترط عدم إطالة الكلام ، وعدم وروده في الضرورة الشعرية ، وإلا اقتصر على أحدهما .

فمن إطالة الكلام قوله تعالى : ﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها

---

(١) شرح الرضى ٢/٣٣٩ .
(٢) سورة يوسف آية ٨٥ .
(٣) سورة يوسف ٩١ .
(٤) البيت من بحر الطويل وهو من شواهد ارتشاف الضرب ٢/ ٤٨٤ والخزانة ٤ : ١٠٥ ، ١٠٧ ، ٢٢٢ ، والهمع ٢ : ٤٢ والدرر ٢/٤٧ .

ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها»(١) .

ومن الضرورة قول الشاعر :

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صال(٢)

ففى الآيات اقتصر على قد مع الفعل الماضى لطول الكلام وفى البيت اقتصر على اللام تبعا لضرورة الشعر .

(ب) وإذا كان الفعل ماضيا منفيا تعين أن يكون النافى « ما » ومنه قوله تعالى : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾(٣) . وكذلك جواب القسم فى السورة الكريمة « ما ودعك ربك » (٤) .

ثالثاً : المقسم به :

وهو كل معظم كان المقسم يريد تحقيق ما أقسم عليه وتثبيته ، ذكر الزركشى أن القسم فى القرآن الكريم ورد بثلاثة أشياء :

الأول : ورد القسم بذاته العليا الموصوفة بالربوبية فى سبعة مواضع :

---

(١) سورة الشمس من الآية ١ إلى ٩ انظر معانى القرآن للزجاج ٣٣١/٥ ، والبيان فى غريب إعراب القرآن ٥١٦/٢ ، والنهر الماد لأبى حيان ٤٧٧/٨ ، وتنوير الأذهان للبروسوى ٥٥٥/٤ .

أما الزمخشرى فقد ذكر أن جواب القسم مقدر وهو : ليد مد من الله عليهم الكشاف ٢٥٩/٤ .

(٢) البيت لامرى القيس فى الديوان ٣٢ ، وهو من الطويل ، الفاجر : الكاذب ، الصالى : الذى يصطلى بالنار : يقول : لما خوفتنى من السها أقسمت لها كاذباً أن ليس منهم أحد إلا نائماً . والبيت من شواهد الجنى الدانى ١٣٥ والمغنى ٢٢٩ ، ٨٣٤ ، والارتشاف ٤٨٤/٢ وشرح المفصل ٢٠/٩ وخزانة الأدب ٢٢١/٤ .

(٣) سورة التوبة آية ٩ .

(٤) سورة الضحى آية ٣ .

﴿ فلا وربك لايؤمنن حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ النساء ٦٥
﴿ قل إي وربي إنه لحق ﴾ يونس ٥٣
﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ الحجر آية ٩٢
﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ﴾ مريم آية ٦٨
﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق ﴾ الذاريات ٢٣
﴿ قل بلى وربي لتبعثن ﴾ التغابن ٧
﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾ المعارج ٤٠

كما ورد القسم بعزته في موضع واحد وهو :

﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾

وجاء القسم بلفظ الجلالة في واحدة وعشرين آية هي :

﴿ ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلى إحسانا وتوفيقا ﴾ النساء ٦٢
﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم ﴾ المائدة ٥٣
﴿ فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشترى به ثمنا ﴾ المائدة ١٠٦
﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ المائدة ١٠٧
﴿ وأقسموا بالله جهد ايمانهم ﴾ الأنعام ١٠٩
﴿ وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ التوبة ٤٢
﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم ﴾ التوبة ٥٦
﴿ يحلفون بالله ليرضوكم ﴾ التوبة ٦٢
﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ التوبة ٧٤

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٤٠ ، ٤١ وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/٤٦ .

﴿ سيحلفون بالله لكم ﴾	التوبة	٩٥
﴿ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد ﴾	يوسف	٧٣
﴿ قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف ﴾	يوسف	٨٥
﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾	يوسف	٩١
﴿ قالوا بالله إنك لفى ضلالك القديم ﴾	يوسف	٩٥
﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾	النحل	٣٨
﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ﴾	النحل	٦٣
﴿ وأقسمو بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن ﴾	النور	٥٣
﴿ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ﴾	النمل	٤٩
﴿ تالله إن كنا لفى ضلال مبين ﴾	الشعراء	٩٧
﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ﴾	فاطر	٤٢
﴿ قال تالله إن كدت لتردين ﴾	الصافات	٥٦

الثانى : القسم بفعله جل وعلا ومثل له الزركشى بقوله تعالى :

﴿ والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها ﴾

«سورة الشمس ٥ ، ٦ ، ٧» ونقله السيوطى فى الاتقان (١).

الثالث : وورد القسم بمفعوله ومنه قوله تعالى :

﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾	الطور آية ١
﴿ والنجم إذا هوى ﴾	النجم آية ١

قال ابن يعيش :

وورد القسم فى الكتاب العزيز بمخلوقاته كثيراً تفخيما وتعظيما لأمر الخالق ، فإن فى تعظيم الصنعة تعظيم الصانع » (٢) .

(١) الاتقان فى علوم القرآن ٤٨/٤ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩٣/٩ .

اجتماع الشرط والقسم

يحتاج كل من الشرط والقسم إلى جواب ، فإذا اجتمعا فى جملة واحدة لم يكن إلا جواب واحد ، ويتعين هذا الجواب للمتقدم منهما(١)، بشرط ألا يسبقهما مبتدأ يفتقر إلى خبر ، فإن تقدم المبتدأ عليهما وجب جعل الجواب للشرط مطلقا سواء أكان مقدمًا أم مؤخراً نحو : أنا والله إن تأتنى آتك . قال سيبويه : لأن هذا الكلام مبني على أنا ألا ترى أنه حسن أن تقول : أنا والله إن تأتنى آتك» (٢).

ولكل من جواب الشرط وجواب القسم علامات ودلائل تحدده وتميزه عن الثانى ، وذكرت من قبل الصور التى يرد عليها جواب القسم ، أما جواب الشرط فيميزه ويحدده جزم المضارع كما فى قوله تعالى : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها » ٣).

وقد يأتى الجواب مقرونا بالفاء وذلك إذا لم يصلح الجواب أن يكون شرطاً (٤).

وعلى ما تقدم نقول : عند تقدم الشرط على القسم : إن تذاكر

---

(١) الشرط المقصود هنا غير الامتناعى « أى غير جواب لو ولولا ولوما » الذى يستحق الجواب إذا تقدم كان الجواب له وجواب القسم محذوف ؛ لدلالة جواب الشرط عليه ، أما إذا تقدم القسم فالجواب أيضاً للشرط ، والشرط وجوابه معاً جواب القسم .

(٢) الكتاب ٨٤/٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٢٠ .

(٤) سيرد ذكر أمثلة له فى « الفاء واستعمالاتها » .

والله فأنت ناجح أما إذا تقدم القسم على الشرط فيجب ملاحظة عدة أمور منها ما يتعلق بالشرط ، ومنها ما يتعلق بالقسم .

أولا : ما يتعلق بالشرط :

أوجبوا أن يكون الشرط ماضيا لفظاً ومعنى أو معنى فقط ، قال الجامى معللا .

ليكون على وجه لا تعمل فيه أدوات الشرط فيطابق أى الشرط الجواب حيث يبطل عمل أدوات الشرط فيه (١) .

وقال الأشمونى :

وما جاء على غير ذلك فضرورة (٢) .

ومن مجيء الشرط بعد القسم ماضيا لفظا ومعنى قوله تعالى :

﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ (٣) .

ومن مجيئه ماضيا معنى قوله تعالى :

﴿ وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (٤) .

﴿ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (٥) .

﴿ لئن لم تنته لأرجمنّك ﴾ (٦) .

---

(١) الفوائد الضيائية للجامى ٢/٣٨٥ .
(٢) شرح الأشمونى على الألفية ٤/٢١ .
(٣) سورة الزخرف آية ٨٧ .
(٤) سورة المائدة ٧٣ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/٤٤٨ .
(٥) سورة الأعراف آية ٢٣ .
(٦) سورة مريم آية ٤٦ .

ثانياً : ما يتعلق بالقسم :

يتقدم القسم على الشرط ويكون ذلك على عدة صور هى :

(أ) أن يكون بلفظ الفعل وذكر المقسم به والمقسم عليه :

ومنه قوله تعالى :﴿ فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ﴾ (١).

(ب) أن يكون لفظ القسم محذوفا ، وعوض عنه باللام التى تسبق أداة الشرط ولها عندهم عدة مسميات :

١ — تسمى لام القسم أو لام اليمين عند سيبويه(٢).

٢ — وسماها الزجاجى لام الشرط(٣) .

٣ — وسماها الهروى لام الجزاء ولام القسم (٤).

٤ — وسميت أيضاً اللام الموطئة ؛ لأنها وطأت الجواب للقسم (٥).

٥ — وسميت أيضاً اللام المؤذنة(٦).

ومما ورد فى القرآن الكريم من هذا النوع قوله تعالى :

١ — ﴿ لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين ﴾ (٧).

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٦ ، انظر التبيان فى غريب إعراب القرآن ٣٠٨/١ والكشاف ٦٥٠/١ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٨٣/٣ ، ١٠٨ وانظر معانى القرآن للفراء ٦٦/١ .

(٣) اللامات للزجاجى ١٤٥ وانظر شرح ابن يعيش على المفصل ٢٢/٩ .

(٤) اللامات للهروى ١٣٥ .

(٥) انظر الجنى الدانى للمرادى ١٣٧ ، ومغنى اللبيب لابن هشام ٣١٢ ، والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ٤٦/٣ .

(٦) الجنى الدانى ١٣٧ .

(٧) سورة يوسف آية ٣٢ .

٢ – ﴿ لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾ (١) .

٣ – ﴿ لئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا ﴾ (٢) .

٤ – ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ (٣) .

٥ – ﴿ ولئن نصروهم ليولن الأدبار ﴾ (٤) .

وغير هذه الآيات كثير فى كتاب الله .

(جـ) وقد يكون القسم مقدراً ، ولا لام دالة عليه ، لكن يتم تقديرها وذلك على صورتين :

١ – ألا يكون الجواب مجزومًا أو مقترناً بالفاء .

٢ – أن يكون الجواب متعينا للقسم .

فمن الصورة الأولى قوله تعالى :

﴿ وإن أطعتمرهم إنكم لمشركون ﴾ (٥) .

لم يتقدم قسم على الشرط « إن اطعتموهم » ، ومع ذلك لم يقترن الجواب بالفاء .

قال أبو حيان :

وحذف الفاء من الضرائر فلا يكون فى القرآن الكريم ، وإنما هو جواب قسم هو اللام والتقدير : «والله إن اطعتموهم إنكم لمشركون » (٦) .

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٢ .

(٢) سورة الكهف آية ٣٦ .

(٣) سورة الزخرف آية ٨٧ .

(٤) سورة الحشر آية ١٢ .

(٥) سورة الأنعام آية ١٢١ .

(٦) البحر المحيط ٢٧٣/٤ وانظر المغنى ٣١١ .

ومن الصورة الثانية قوله تعالى :

﴿ وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (١)

﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٢) .

ففى الآيتين لم يتقدم قسم على الشرط « إن لم ينتهوا ، و « إن لم تغفر لنا » وجاء الجواب لقسم مقدر والدليل تقدم اللام على الفعل ووجود نون التوكيد فى آخره . « ليمسنّ ولنكونن » .

وإذا ورد الجواب للشرط بأن كان مضارعاً مجزوماً فلا اعتبار للام المتقدمة على الشرط ، وتعد لاما زائدة (٣) لا موطئة للقسم خلافا للفراء الذى أجاز جعل الجواب للشرط مع تقدم القسم عليه (٤). ومن شواهدهم قول بعض بنى عقيل :

لئن كان ما حُدِّثته اليوم صادقا ... أصم فى نهار القيظ للشمس باديًا

وأركب حمارًا بين سرج وفروة ... وأعر من الخاتام صغرى شماليا(٥)

وقول عمر بن أبى ربيعة :

---

(١) سورة المائدة آية ٧٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ٢٣ .

(٣) اللامات للهروى ١٤٢ ، والجنى الدانى ١٣٨ ، ومغنى اللبيب ٣١٢ .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ٦٦/١ ، ١٣١/٢ .

(٥) قيل إن البيتين لامرأة من بنى عقيل ، وبحرها الطويل ، وهما من شواهد الفراء فى معانى القرآن ٦٦/١ ، واللامات للهروى ، والمغنى ٣١٢ ، وشرح التصريح ٢٥٤/٢ ، وهمع الهوامع للسيوطى ٤٣/٢ ، وشرح الأشمونى ٢٩/٤ وخزانة الأدب ٥٣٨/٤ وشرح شواهد المغنى ٦١٠/٢ .

ألم بزينب إن البين قد أفدا قلَّ الثواءُ لئن كان الرحيل غدا(١)

ففى الأوَّل ورد الجواب فعلا مضارعاً مجزومًا « أصم » .

وفى الثانى حذف الجواب ودل عليه ما قبل إنْ ، فلو كان ثم قسم مقدر لزم الإجحاف بحذف جوابين (٢) .

---

(١) البيت فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ٣٨٣ وهو من شواهد المغنى ٣١٢ والجنى الدانى ١٣٨ .وشرح شواهد المغنى ٢/٦١٠ .

(٢) مغنى اللبيب ٣١٢ .

إذا

تأتى « إذا » على ضربين : اسمًا وحرفًا وتكون مبنية على السكون ؛ لمشابهتها للموصولات فى الافتقار إلى الجملة بعدها (١).

أولا : إذا الاسم :

تأتى إذا الاسمية ظرفًا متضمنا معنى الشرط ، وغير متضمن معنى الشرط ، فتفيد الاستقبال ، وعند بعض النحاة تفيد المضي وقد تخرج عن الظرفية فتكون اسماً معرباً بحسب العوامل الداخلة عليه وتفصيل ذلك كالتالى : —

أ — إذا ظرف متضمن معنى الشرط :

ويأتى الشرط والجواب بعدها على عدة صور هى : —

١ — أن يكونا ماضيين كما فى قوله تعالى : ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ (٢).

٢ — أن يكونا مضارعين كما فى قوله تعالى : ﴿إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ﴾ (٣) .

٣ — أن يكون الشرط ماضيا ، والجواب مضارعاً كما فى قوله تعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ (٤).

---

(١) شرح ابن يعيش على المفصل ٩٥/٤ وذكر الجامى أن سبب بنائها هو تضمنها معنى الشرط (الفوائد الضيائية فى شرح الكافية ١٣٨/٢) .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ١٠٧ .

(٤) سورة المائدة آية ٨٣ .

٤ ـ أن يكون الشرط مضارعاً والجواب ماضياً نحو قوله تعالى :
﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾ (١) .

ويأتى الجواب مقترناً بالفاء كما فى قوله تعالى :﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾(٢) . وقوله تعالى : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ (٣) .

كما يأتى جوابها مقترناً بإذا الفجائية ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ (٤) .

والكثير فى إذا المتضمنة معنى الشرط أن يكون الشرط والجواب ماضيين أو يكون الشرط ماضيا والجواب جملة طلبية مقترنة بالفاء ومنه قوله تعالى : ﴿ إذا طلقتم النساء فطلقوهن ﴾ (٥) .

ولا يكون بعد إذا المتضمنة معنى الشرط إلا الفعل ظاهراً كان أم مقدراً(٦) كما فى قوله تعالى :﴿إذا السماء انشقت﴾(٧) خلافاً للأخفش الذى أجاز وقوع المبتدأ بعدها " وقد وافقه ابن مالك فى التسهيل حيث قال : وقد تغنى ابتدائية اسم بعدها عن تقدير فعل وفاقا للأخفش»(٨) .

وقال الرضى معللا لمجىء المبتدأ بعدها : لعروض معنى الشرط »(٩) .

---

(١) سورة مريم آية ٥٨ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(٤) سورة الروم آية ٢٥ .
(٥) سورة الطلاق آية ١ ، انظر المغنى ١٢٧ .
(٦) انظر الكتاب ١١٩/٣ ، والمقتضب ١٧٧/٣ .
(٧) سورة الانشقاق آية ١ .
(٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٩٤ .
(٩) شرح الرضى على الكافية ١١٢/٢ .

وقال الجامى : لعدم تأصلها فى الشرط مثل إن ولو » (١) .

وإذا مضافة لجملة الشرط ، وناصبها الجواب على قول الجمهور ، أما أبو حيان فقد أظهر فساده من وجوه ملخصها : وقوع إذا الفجائية فى الجواب أو الفاء أو مجىء الجواب منفيا بما وكلها لا يعمل ما بعدها فيما قبلها .

وأجاز المرادى قول الجمهور بقوله : إن الجمهور إنما يقولون إن العامل فيها جوابها إذا كان صالحاً للعمل ، فإن منع من عمله فيها مانع . . . فالعامل فيها حينئذ مقدر يدل عليه الجواب »(٢) .

ولا يجزم بإذا لمخالفتها« إن » الشرطية فى كونها للمتيقن وجوده أو المرجح ، أما إن فهى للمشكوك فيه ، قال سيبويه : وسألته عن إذا ما منعهم أن يجازوا بها ؟ فقال : الفعل فى إذا بمنزلته فى إذ ، إذا قلت : أتذكر إذ تقول ، فإذا فيما تستقبل بمنزلة إذ فيما مضى ويبين هذا أن إذا تجىء وقتاً معلومًا ، ألا ترى أنك لو قلت آتيك إذا احمر البسر كان حسناً ، ولو قلت آتيك إن احمر البسر كان قبيحاً ، فإن أبدًا مبهمة وكذلك حروف الجزاء ، وإذا توصل بالفعل (٣) .

والجزم بإذا من قبيل الضرورة ومنه قول قيس بن الخطيم الأنصارى :

وإذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب(٤)

(١) الفوائد الضيائية للجامى ١٣٨/٢ .

(٢) الجنى الدانى ٣٦٩/٣٧٠ .

(٣) انظر الكتاب ١٣٤/١ ، ٦٠/٣ ، والمقتضب ٥٥/٢ ، والجنى الدانى ٣٦٩ .

(٤) البيت من شواهد الكتاب ٦١/٣ ، والمقتضب ٥٧/٢ ، وشرح المفصل٩٧/٤ ، ٤٧/٧ ، وشرح الرضى على الكافية ١٠٩/٢ وشرح الأشمونى على الألفية ١٣/٤ ، وخزانة الأدب ١٦٢/٣ .

فالفعل « نضارب » جاء مجزوماً عطفاً على موضع « كان » ؛ لأنها فى محل جزم جواب إذا التى عملت عمل « إن » .

قال سيبويه : فهذا اضطرار وهو فى الكلام خطأ » (١) .

ب — إذا ظرف غير متضمن معنى الشرط :

وهى على صورتين :

الصورة الأُولى : ظرف لما يستقبل من الزمان :

ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ (٣) .

قال ابن هشام :

إذا فيهما ظرف لخبر المبتدأ بعدها ، ولو كانت شرطية والجملة الاسمية جواباً لاقترنت بالفاء » (٤) .

ومن مجيئها ظرفا محضا مجرداً من معنى الشرط وقوعها بعد القسم فى قوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ (٥) ﴿ والليل إذا يسر ﴾ (٦) .

﴿ والليل إذا يغشى ﴾ (٧) ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ (٨) .

---

(١) الكتاب ٦٢/٣ .
(٢) سورة الشورى ٣٧ .
(٣) سورة الشورى آية ٣٩ .
(٤) مغنى اللبيب لابن هشام ١٣٩ .
(٥) سورة النجم آية ١ .
(٦) سورة الفجر آية (٤) .
(٧) سورة الليل آية ١ .
(٨) سورة الضحى الآية ١،٢ .

قال الرضى :

ليس فى إذا معنى الشرط ، إذ جواب الشرط إما بعده أو مدلول عليه بما قبله ، وليس بعده ما يصلح للجواب لا ظاهراً ولا مقدراً لعدم توقف معنى الكلام عليه ، وليس ههنا ما يدل على جواز الشرط قبل إذا إلا القسم فلو كان إذا للشرط كان التقدير : إذا يغشى أقسم فلا يكون القسم منجزا بل معلقا بغشيان الليل وهو ضد المقصود إذ القسم بالضرورة حاصل وقت التكلم بهذا الكلام وإن كان نهاراً غير متوقف على دخول الليل»(١).

وإذا فى آيتى النجم والليل للحال عند ابن هشام(٢) . ولما يستقبل من الزمان عند أبى حيان والمرادى (٣) وقد نقلا قول الفراء فى تفسير قوله تعالى :﴿وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض﴾ (٤) إنه إذا كان ماضيا فى اللفظ فهو فى معنى الاستقبال »(٥) .

الصورة الثانية : إذا ظرف لما مضى من الزمان :

وتكون « إذا » بمعنى « إذ » ذكره ابن مالك فى التسهيل حيث قال : وربما وقعت موقع « إذ » و « إذا » موقعها (٦) .

وذكره كل من المرادى وابن هشام واستشهدا له بقوله تعالى :

---

(١) شرح الرضى على الكافية ١١١/٢ ، وانظر المغنى ١٣٦ .
(٢) مغنى اللبيب ١٣٠ .
(٣) ارتشاف الضرب ٢٣٨/٢ والجنى الدانى ٣٧٠ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٥٦ .
(٥) انظر معانى القرآن للفراء ٢٤٣/١ ، والبيان فى غريب إعراب القرآن ٢٢٧/١.
(٦) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ٩٣ .

﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾(١)

وقوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها ﴾ (٢) .

أما أبو حيان فقد منعه فى الارتشاف (٣) .

ج — إذا معربة بحسب موقعها :

أى أنها تجردت من معنى الظرفية ، فتكون اسمًا مبتدأ على ما ذكر ابن جنى فى قوله تعالى : ﴿إذا وقعت الواقعة﴾(٤) والخبر إذا الثانية فى قوله تعالى : إذا رجت الأرض رجا » ومنعه ابن هشام بقوله : إذا الثانية بدل من الأولى ، والأولى ظرف وجوابها محذوف لفهم المعنى ، وحسنه طول الكلام ، وتقديره بعد « إذا » الثانية ، أى انقسمت أقساماً ﴿ وكنتم أزواجًا ثلاثة﴾ (٥) .

وقيل من تجردها عن الظرفية وقوعها مجرورة بحتى وهو كثير فى القرآن الكريم ومنه :

١ — ﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك ﴾ (٦) .

٢ — ﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما ﴾ (٧) .

---

(١) سورة التوبة آية ٩٢ .

(٢) سورة الجمعة آية ١١ وانظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٤٩/٢ .

(٣) ارتشاف الضرب ٢٣٨/٢ .

(٤) سورة الواقعة آية ١

(٥) مغنى اللبيب ١٢٩ وانظر الجنى الدانى ٣٧٢ ، والبرهان فى علوم القرآن القرآن ١٩٧/٤

(٦) سورة الأنعام آية ٢٥ .

(٧) سورة الكهف آية ٩٣ .

٣ — ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال ﴾ (١).

٤ — ﴿ حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة ﴾ (٢).

وجاءت آرائهم فى إذا على النحو التالى :

١ — الجمور على أن إذا شر طية فى موضع نصب ، وحتى قبلها ابتدائية .

٢ — إذا مجرورة بحتى وهو رأى الأخفش وتبعه ابن مالك .

٣ — جواز الوجهين عند الفارسى والزمخشرى (٣) .

كما أجاز ابن مالك مجىء إذا المجردة عن الظرفية مفعولا به مستدلا له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها :

« إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت علىَّ غضبى » (٤) ولم يرتض ابن هشام ذلك حيث قال : إذا ظرف لمحذوف وهو مفعول أعلم ،وتقديره شأنك »(٥) .

---

(١) سورة الكهف آية ٩٦ .

(٢) سورة النمل آية ١٨ .

(٣) انظر ارتشاف الضرب لأبى حيان جـ٢/٢٣٩ ومغنى اللبيب ١٢٨ والجنى الدانى ٣٧٢ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى (كتاب النكاح) .

(٥) مغنى اللبيب ١٢٩ .

ثانياً : إذا الحرف :

وهى المسماة إذا الفجائية ، وتختص بالدخول على الجملة الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ، ويكون معناها الحال ، قال سيبويه : تكون للشيء فى حال أنت فيها وذلك فى قولك : مررت فإذا زيد قائم »(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ فإذا هى حية تسعى ﴾ (٢) .

واختلفت كلمة النحاة فى إذا الفجائية على النحو التالى :

١ — إنها ظرف مكان وهو مذهب المبرد ، وتبعه الفارسى ، وأبو الفتح وابن عصفور والزركشى (٣) .

٢ — إنها ظرف زمان وهو مذهب الرياشى والزجاج واختاره الزمخشرى

٣ — إنها حرف وهو مذهب الكوفيين ، وتبعهم الاخفش ، واختاره ابن مالك وهو الأقرب عند الرضى ، كما نجد ابن هشام رجحه حيث قال : — ويرجحه قولهم : خرجت فإذا إن زيداً بالباب » بكسر إن ؛ لأن « إن » لا يعمل ما بعدها فيما قبلها » (٤).

ويظهر أثر هذا الخلاف فى مثل : خرجت فإذا الأسد ، فإذا يجوز أن تكون ظرف مكان ، ولا يجوز أن تكون ظرف زمان ؛ لعدم جواز الإخبار بالزمان عن الجثة إلا إذا قدر حذف مضاف أى فإذا حضور الأسد .

---

(١) الكتاب ٢٣٢/٤ .

(٢) سورة طه آية ٢٠

(٣) انظر المقتضب ١٧٨/٣ ، الارتشاف ٢٤٠/٢ ، المغنى ١٢٠ ، البرهان فى علوم القرآن ١٩/٤ .

(٤) انظر التسهيل ٩٤ ، شرح الكافية ١١٢/٢ ، الجنى الدانى ٣٧٤ المغنى ١٢٠

ولا يجوز أن تكون إذا حرفًا ؛ لأن الحرف لا يخبر به ولا يخبر عنه(١) .

ونتج عن الخلاف السابق خلاف آخر وهو ما العامل فى إذا ؟

فإذا كانت الخبر فعاملها المقدر مفرداً « مستقر » أو جملة فعلية « استقر » .

وإذا كان خبر المبتدأ الواقع بعدها ، فهو ناصبها سواء أكان مذكوراً نحو : خرجت فإذا زيد قائم أم كان مقدرًا نحو : خرجت فإذا الأسد

أما الزمخشرى فقد ذكر أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة حيث قال فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾(٢) : فإن قلت : كيف جاز أن يجاب بـ إذا المفاجأة ؟ قلتُ : لأن فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب فى محلها كأنه قيل : فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم » (٣) .

وتبعه الجامى حيث قال : وهو عامل لا يظهر وقد استغنوا عن إظهاره ؛ لقوة ما فيه من الدلالة عليه » (٤) .

ومنعه أبو حيان وابن هشام فقال الأول : « .. وما ادعاه الزمخشرى من إضمار فعل المفاجأة لم ينطق به ولا فى موضع واحد ثم المفاجأة التى ادعاها لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق بل المعنى يدل

---

(١) المغنى ١٢١ .
(٢) سورة الزخرف آية ٤٧ .
(٣) الكشاف ٣/٤٩٠ ، ٤٩١ .
(٤) الفوائد الضيائية للجامى ٢/١٣٩ .

على أن المفاجأة تكون من الكلام الذى فيه إذا تقول : خرجت فإذا الأسد والمعنى ففاجأنى الأسد وليس المعنى ففاجأت الأسد »(١).

وقال الثانى : ولا يعرف هذا لغيره (٢) .

أما إذا التى تأتى فى جواب الشرط نائبة عن إلغاء ففى نحو قوله تعالى :

﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾(٣)

ولاستعمالها شروط أربعة ذكرها المرادى(٤) وهى :

١ ــ أن يكون الجواب جملة اسمية .

٢ ــ أن تكون غير طلبية .

٣ ــ ألا تدخل عليها أداة نفى .

٤ ــ ألا تدخل عليها « إنَّ » .

واستعمال إذا فى جواب الشرط أقل من استعمال الفاء فيه قال الرضى : لثقل لفظها وكون معناها من الجزاء أبعد من معنى الفاء وذلك لتأويله بأن وجود الشرط مفاجى لوجود الجزاء ومتهجم عليه »(٥).

وورد فى الارتشاف والجنى الدانى قسماً آخر لـ« إذا » وهو مجيئها زائدة ، وقد نسبه أبو حيان والمرادى إلى أبى عبيدة وموضع الزيادة مجيئها بعد « بينا وبينما » ومنه قول الشاعرة :

(١) البحر المحيط ٨/٢٠ ، ٢١ .
(٢) مغنى اللبيب ١٢١ .
(٣) سورة الروم آية ٣٦ .
(٤) الجنى الدانى ٣٧٥ .
(٥) شرح الرضى على الكافية ٢/٢٦٢ .

فبينـا نسوس الناس والأمر أمرنا

إذا نحن فيهم سوقة نتنصفُ (١)

وقول الشاعر :

بينما المرءُ فى فنون الأمانى فإذا رائد المنون موافى (٢)

ونقل الرضى والمرادى قول الأصمعى بعدم وروده فى فصيح . ولم يؤيداه فقال الرضى : كان الأصمعى لا يستفصح إلا تركهما فى جواب بينا وبينما لكثرة مجىء جوابهما بدونهما ، والكثرة لا تدل على أن المكسور غير فصيح بل تدل على أن الأكثر أفصح »(٣) .

وقال المرادى :

والصحيح أنه عربى ولكن تركها أفصح» (٤).

---

(١) البيت لحرقة بيت النعمان ونسب إلى أختها هند وهو من شواهد أمالى ابن الشجرى ٢/١٧٥ ، وشرح الرضى على الكافية ٢/١١٣ ، والجنى الدانى للمرادى ٣٧٦ ومغنى اللبيب ٤١٠ ، ٤٨٥ ، وشرح شواهد المغنى ٢/٧٢٣ ، وهمع الهوامع ١/٢١١ ، والدرر ١/١٧٨ ، وخزانة الأدب ٣/١٧٨ .

(٢) البيت من شواهد المرزوقى فى شرح الحماسة ١٧٨٣ ، والجنى الدانى ٣٧٦ وخزانة الأدب ٣ : ١٧٨ .

(٣) شرح الرضى على الكافية ٢/١١٣ .

(٤) الجنى الدانى ٣٧٦ .

اللام

تكررت اللام فى السورة الكريمة ثلاث مرات فى :

﴿ وللآخرة خير لك من الأُولى ولسوف يعطيك ﴾

فاللام الأولى :

لام الابتداء حرف مهمل لا عمل(١) له ، وتفيد توكيد الكلام(٢) .
ويرى البعض أن هذه اللام لشدة توكيدها وتحقيقها ما تدخل عليه لام قسم قال الزجاجى :
وغير منكر أن يكون مثل هذا قسما ؛ لأَن هذه مفتوحة كما أن لام القسم مفتوحة ، ولأَنها مؤكدة محققة كتحقيق لام القسم »(٣) .

وقال الشوكانى :

اللام جواب قسم محذوف أى الجنة خير لك من الدنيا مع أنه صلى الله عليه وسلم قد أوتى فى الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف ويتضاءل بالنسبة إليه كل مكرمة فى الدنيا ،ولكنها لما كانت الدنيا بأَسرها مشربة بالأَكدار منغصة بالعوارض البشرية . . . لم تكن بالنسبة للآخرة شيئاً »(٤) .

---

(١) أما اللام العاملة فهى على ضربين : عاملة للجر فتجر الظاهر والمضمر كما تجر المصدر المؤول من أن والمضارع نحو : «وأمرت لأن أكون أول المسلمين»(الزمر١٢)
وعاملة الجزم وهى لام الأمر ومنه قوله تعالى : «ليقض علينا ربك» (الزخرف آية ٧٧) :

(٢) انظر الكشاف ٢٦٤/٤ ، البحر المحيط ٤٨٥/٨ ، تنوير الأذهان للبروسوى ٥٦١/٤ :

(٣) اللامات للزجاجى ٧٩ .

(٤) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية وعلم التفسير للشوكانى ج٥/٤٥٨

وإعراب الآخرة مبتدأ مرفوع ، والخبر خير ، ويرى مكى القيسى أن الأصل : لدار الآخرة خير أى من إقامة الصفة مقام الموصوف (١).

ويؤيده قوله تعـالى :

﴿ وللدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ الأنعام ٣٢

وقوله تعـالى :

﴿ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا ﴾ يوسف ٥٧

الآخـرة :

على وزن فاعلة . قال ابن خالويه : والهمزة فى أول آخره ألف أصلية فاء الفعـل والثانية مجهولة» (٢) .

والصحيح أن ألف اسم الفاعل زائدة ، أما الألف المجهولة الأصل فكالألف فى عاج وصاب (٣) .

خـير :اسم تفضيل ، يقال : فلان خير من فلان وجاء فى لغة بنى عامر : هذا أخير من ذاك بالهمزة . والصحيح أن هذه الكلمة وكلمة«شر» لما كثر استعمالهما فى الكلام ، حذفت همزتاهما للتخفيف .ولم يلفظوا بهما إلا فى فعل التعجب خاصة(٤) .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١٨٩/١ .

(٢) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ١١٨ .

(٣) انظر شرح ابن الناظم على الألفية ٧٩٠ .

(٤) انظر المسائل العضدية للفارسى ٢٦٤ ، إعراب القرآن للنحاس ٥ / ٢٤٩ . درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى ٥١ وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ١٣٣ .

اللام الثانية فى « لك » :

عدَّ ابن خالوية اللام زائدة ، وورد لفظ « خير » فى القرآن الكريم معدى للضمير باللام ومنه قوله تعالى :

﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ البقرة ٥٤

﴿ وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ البقرة ١٨٤

وورد مضافاً للنكرة والمعرفة ومنه قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أُمة أخرجت للناس ﴾ آل عمران ١١٠

﴿ وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ المائدة ١١٤

ولم أجد لفظ « خير » مضافًا للضمير فى القرآن الكريم ، ورأيته فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : خيركم خيركم لأَهله وأنا خيركم لأَهلى»(١) .

وقوله صلوات الله عليه وسلامه : خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»(٢).

وزيادة اللام فى « لك » لم أجد أحداً قاله إلا ابن خالويه وبالرجوع المواضع التى تزاد فيها اللام نجدها على النحو التالى :

١ – تزاد اللام بين الفعل المتعدى ومفعوله ومنه قوله تعالى :

﴿ وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ الأنعام ٧١

٢ – وتزاد بين المضاف والمضاف إليه ومنه « لا أخالك » عند سيبويه(٣) بإضافة أخ للضمير

---

(١) رواه الترمذى والدارمى وإسناده صحيح .

(٢) رواه البخارى .

(٣) الكتاب ٢/٢٠٦ .

٣ - وتزاد لتقوية عامل ضعف بتأخره أو بكونه فرعًا فى العمل فمن الأول قوله تعالى :﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾(١) ومن الثانى قوله تعالى : ﴿مصدقا لما معهم﴾ (٢) .

وعلى هذا يجوز أن تكون اللام زائدة بين المضاف والمضاف إليه .

من الأولى :

الأُولى : مؤنث الأَول والأَصل ووُلى مما فاؤه وعينه واو ، فاستثقل لزومهما فى الأَول ، فأُبدلت الأُولى همزة .

وهو مجرور بالحرف « من » وجره بكسره مقدرة للتعذر والجار والمجرور متعلق بـ خير .

اللام الثالثة فى « ولسوف » :

اختلفت كلمتهم حول اللام فى « لسوف » وبيان هذا الخلاف كالتالى :—

١ — اللام عند ابن خالويه للتأكيد ، وسوف تأكيد للاستقبال وكذلك نقل عن أبى على الفارسى أن اللام فى جواب القسم ونابت « سوف » عن إحدى النونين(٣) .

وقال ابن الأنبارى : ولم تدخل النون مع اللام ههنا وإن كانت النون

---

(١) سورة يوسف آية ٤٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٩١ .

(٣) انظر إعراب ثلاثين سورة ١١٥ ، ١١٨ ، وتفسير أبى السعود ٩/١٧٠ ، وفتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية للشوكانى .

لا تكاد تنفك عن اللام فى هذا النحو لمكان (سوف) ؛ لأن النون إنما تدخل مع اللام لتدل على أن اللام لام قسم ، لا (لام) ابتداء فلما دخلت على (سوف) علم أنها لام قسم لا لام ابتداء ، لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف(١) .

وذكر ابن يعيش أن لام القسم أصلها لام الابتداء حيث قال :

اعلم أن هذه اللام لام الابتداء . . . لأنها تتعرى من معنى الجواب وتخلص للابتداء ولا تتعرى من الابتداء ؛ فلذلك كان أخص معنييها .

واللام فى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » للتأكيد واستغنى عن النون لزوال الشك بوجود (سوف)(٢) . وعليه فاللام وقعت فى جواب القسم .

٢ — ورأى الزمخشرى أن اللام للابتداء وأن فى الكلام حذفًا تقديره : ولأنت سوف يعطيك حيث قال : لام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلابد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله : ولأنت سوف يعطيك (٣) .

ومنع أن تكون اللام للقسم لاشتراط اجتماعها مع نون التوكيد وعلل لمعنى الجمع بين حرفى التوكيد والتأخير بقوله : العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما فى التأخير من المصلحة(٤) .

---

(١) البيان فى غريب إعراب القرآن ٢/٥٢٠ .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩/٢١ .
(٣) الكشاف للزمخشرى ٤/٢٦٤ .
(٤) الكشاف للزمخشرى ٤/٢٦٤ .

٣- ولم يرتض ابن الحاجب كلام الزمخشرى حيث قال :وأما قول بعضهم إنها لام الابتداء وإن المبتدأ مقدر بعدها ففاسد من جهات .

إحداها : أن اللام مع الابتداء كهى مع الفعل ، وإن مع الاسم فكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقيان بعد حذ فهما كذلك اللام بعد حذف الاسم .

الثانية : أنه إذا قدر المبتدأ فى لسوف يقوم زيد يصير التقدير لزيد سوف يقوم زيد . ولا يخفى ما فيه من الضعف.

الثالثة : أنه يلزم إضمار لا يحتاج إليه الكلام(١) .

والمرادى يخالف الزمخشرى بقوله : هو مشروط (اجتماع اللام والنون) عند القائلين به بألا يفصل بين الفعل واللام بحرف التنفيس ، أو قد أو بمعموله فيمتنع حينئذ دخول النون فقد اتضح أن عدم النون فى « ولسوف » ليس مانعاً من جعل اللام جواب القسم (٢) .

وذكر ابن هشام رأى المرادى وزاد عليه قوله :

« إنما يضعف قول الزمخشرى أن فيه تكلفين لغير ضرورة وهما تقدير محذوف ، وخلع اللام عن معنى الحال ؛ لئلا يجتمع دليلا الحال والاستقبال .. وقوله إن لام القسم مع المضارع لا تفارق النون ممنوع ، بل تارة تجب اللام وتمتنع النون وذلك مع التنفيس ، ومع تقديم المعمول بين اللام والفعل نحو قوله تعالى :﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾(٣).

---

(١) أمالى ابن الحاجب ٢٧٨/١ وانظر المغنى لابن هشام ٣٠٢ وما بعدها .

(٢) الجنى الدانى للمرادى ١٢٧ .

(٣) مغنى اللبيب ٣٠٣ والآية الكريمة من سورة آل عمران ورقمها ١٥٨ .

سوف

وردت فى قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ .

وهو حرف يدل على التأخير والتنفيس (١) ، ويخلص المضارع للاستقبال ويزيل عنه الشياع كالسين ، إلا أن زمانه أبعد من السين وهو أشد تراخيًا فى الاستقبال وأبلغ تنفيساً على قول البصريين (٢) .

قال ابن يعيش :

ولذلك يقال : سوّفته إذا أطلت الميعاد كأنك اشتققت من لفظ سوف فعلا»(٣) .

ولعل جعلها أبلغ من السين بسبب كثرة حروفها تبعاً لقولهم :

إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

وذهب الكوفيون إلى أن السين منقصة من سوف حذفوا الواو والفاء لكثرة الاستعمال (٤) .

وحكى فيها : سف : وسَوْ وسى وأنشدوا قول الشاعر :

---

(١) وقد ذكر السهيلى أن هناك تقارباً فى المعنى بين هذا الحرف والاسم المشتق « السوف » حيث قال : سوف حرف ، ولكنه على لفظ السوف الذى هو الشم لرائحة ما ليس بحاضر وقد وجدت رائحته ، كما أن « سوف » هذه التى هى حرف – تدل على أن ما بعدها ليس بحاضر وقد علم وقوعه وانتظر إبانه .» انظر نتائج الفكر فى النحو للسهيلى ص ١٢٤ .

(٢) الكتاب ١/١٩٨ ، ٤ / ٢٣٣ ، المقتضب ٢/٥ ، الجنى الدانى ٤٥٩ .

(٣) شرح ابن يعيش على المفصل ٨/١٤٨ .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ٣/٢٧٣ ، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ١١٨ والجنى الدانى ٤٥٨ ، ومغنى اللبيب ١٨٥ .

فإن أهلك فسو تجدون فقدى، وإن أسلم يطب لكم المعاش(١)

قال الرمانى :

وهو من الشاذ الذى لا يؤخذ به (٢).

وقال ابن يعيش :

حكاية ينفرد بها بعض الكوفيين مع قلتها (٣) واختار المرادى ما ذكره الكوفيون حيث قال : نقل الكسائى عن أهل الحجاز « سو أفعل » بحذف الفاء فى غير ضرورة فدل على أنها لغة (٤).

ورفض أبو البركات الأنبارى ما رواه الكوفيون محتجاً بأن روايتهم انفردوا بها فلا يكون فيها حجة ، كما أن هذه الرواية إن تم قبولها فمن الشاذ الذى لا يعبأ به بسبب قلته (٥).

وعلى ما تقدم ومن خلال إحصاء المواضع التى وردت فيها كل من السين وسوف فى القرآن الكريم وجدت أن السين أكثر عدداً من سوف ولا مانع من جعل كل منهما أصلا مستقلا بذاته .

واستعمال سوف كثير فى الوعيد والتهديد وقد تستعمل فى الوعد (٦).

---

(١) البيت مجهول القائل وهو من شواهد الجنى الدانى ٤٥٩ ، وهمع الهوامع ٢/٧٢، والدرر ٢ : ٨٩ .

(٢) انظر معانى الحروف للرمانى ١٠٩ .

(٣) شرح ابن يعيش على المفصل ٨/١٤٩ .

(٤) الجنى الدانى للمرادى ٤٥٨ .

(٥) الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ٢/٦٤٧ .

(٦) انظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/١٩٨ .

مثال الوعيد قوله تعالى :﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلُّ سبيلا ﴾ (١).

ومجيئها للوعد فى قوله تعالى : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (٢).

أما السين فالأكثر فيها استعمالها فى الوعد ومنه قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ (٣)

وقد تأتى للوعيد ومنه قوله تعالى : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ (٤).

وانفردت عن السين بأحد أمرين :

الأول : دخول اللام عليها كما فى الآية الكريمة ولا يتأتى ذلك فى السين والسبب عدم اجتماع حرفين على حرف واحد مفتوحين زائدين على الكلمة ، ولشدة اتصال بعضها ببعض واتصالهما بالكلمة ربما أدى ذلك فى بعض الكلمات إلى اجتماع أربع متحركات أو أكثر نحو : لسيجد فتثقل الكلمة وكثيراً ما يهربون من هذا الثقل فطرحوا دخول اللام على السين(٥).

الثانى : قد تفصل بالفعل الملغى ومنه قول الشاعر :—

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٢ .
(٢) سورة الضحى آية ٥ .
(٣) سورة مريم آية ٩٦ .
(٤) سورة الشعراء آية ٢٢٧ .
(٥) الجنى الدانى ٤٥٩/٤٦٠ انظر الاتقان فى علوم القرآن ٢/ ١٩٨ .

وما أدرى وسوف إخالُ أدرى   أقوم آل حصن أم نساء(١)

وسوف حرف مبنى على الفتح قال الرمانى : فتحت كراهية الخروج من الواو إلى الكسر مع كثرة الاستعمال ، وعدم إعمالها على الرغم من اختصاصها بالفعل ؛ لأنها صارت كأحد أجزائه(٢).

يعطيك ربك :

« يعطى » من الأفعال الناصبة لمفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر وماضيه رباعى ، لذا ضم حرف المضارعة ، والكاف المتصلة بالفعل المفعول الأول ، أما مفعوله الثانى فمحذوف جوازًا .

ويجوز حذف الأول وبقاء الثانى كما فى قوله تعالى :

﴿ أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى ﴾   النجم آية ٣٤

وورد حذفهما معًا فى قوله تعالى :

﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ﴾   الليل ٥ ، ٦

والغرض من حذفهما الإيجاز ؟ لأن الغرض الثناء على المعطى (اسم الفاعل) دون التعرض للعطية والمعطى (اسم المفعول) ومثال ذكر المفعولين فى قوله تعالى :

﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

---

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى فى الديوان ٧٣ وهو من الوافر من شواهد ابن جنى فى الخصائص ٢ : ١٥١ ، وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٣٤ ، ومغنى اللبيب ٦١ ، ١٨٥ ، ٥١٣ ، ٥١٩ والهمع ١ : ١٥٣ ، ٢٤٨ ، ٧٢/٢ ، والدرر ١٣٦/١ ، ٢٠٦ ، ٨٩/٢ .

(٢) معانى الحروف للرمانى ١٠٩ .

وورد الفعل «أعطى» فى القرآن الكريم ماضيا ومضارعًا وورد منه الماضى بصيغة «تفاعل» فى قوله تعالى :

﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ القمرآية ٢٩

وذكر اسم المصدر وهو «عطاء» فى خمسة مواضع من القرآن الكريم وهى :

﴿ وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾. هود ١٠٨

﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ الإسراء ٢٠

﴿ جزاءً من ربك عطاء حساباً ﴾ النبأ ٣٦

﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ ص ٣٩

ولم يرد المصدر «إعطاء» فى القرآن الكريم ، ولا ننسى أن المصدر يعمل عمل فعله فيصح أن نقول : إنَّ إعطاءك الفقير حسنة يقربك إلى الله بنصب الفقير مفعولا أول ، وحسنة مفعولا ثانيا .

قال ابن مالك فى الألفية :

بفعله المصدر ألحق فى العمل   مضافا ، أو مجرورا ، أو مع أل

كما ورد إعمال إسم المصدر عمل الفعل فى قول القطامى :

أكفرًا بعد ردِّ الموت عنِّى   وبعد عطائك المائة الرتاعا

بنصب المائة مفعولا لاسم المصدر «عطاء» المضاف لفاعله «الضمير المتصل» .

ربك :

فاعل يعطى تقدم عليه المفعول الأول « الكاف » وجوباً لأنه ضمير متصل ولا يجوز انفصاله .

فترضى :

وورد الفعل الماضى « رضى » فى أربع عشرة آية وهى :—

١ — ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ المائدة ٣

٢ — ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ المائدة ١١٩

٣ — ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ التوبة ٣٨

٤ — ﴿ فإن أعطوا منها رضوا ﴾ التوبة ٥٨

٥ — ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ﴾ التوبة ٥٩

٦ — ﴿ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة ﴾ التوبة ٨٣

٧، ٨ — ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ التوبة ٨٧، ٩٣

٩ — ﴿ والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ التوبة ١٠٠

١٠ — ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ يونس ٧

١١ — ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾ طه ١٠٩

١٢ — ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ الفتح ١٨

١٣ — ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ﴾ المجادلة ٢٢

١٤ — ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ البينة ٨

وظهر أن الفعل يأتى لازما « رضى عنهم » ومتعديا « رضيت لكم الإسلام دينا ، رضوا ما آتاهم ، رضى له قولا » .

وورد الماضى على وزن « تفاعل » فى آيتين هما :

١ — ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ البقرة ٢٣٢

٢ — ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ النساء ٢٤

ويقصد به إظهار كل واحد منهم الرضا بصاحبه .

كما ورد الفعل على وزن « افتعل » ماضيا فى قوله تعالى :

١ — ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ الأنبياء ٢٨

٢ — ﴿ وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ﴾ النور ٥٥

٣ — ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ . الجن ٢٧

أما الفعل المضارع فقد ورد من الثلاثى « يرضى » بفتح الياء والرباعى « يُرضى » لازمًا ومتعديًا فى قوله تعالى :

١ — ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ البقرة ١٢٠

٢ — ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ البقرة ١٤٤

٣ — ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ البقرة ٢٨٢

٤ — ﴿ إذ يبيتون مالا يرضى من القول ﴾ النساء ١٠٨

٥ — ﴿ وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾ الأنعام ١١٣

٦ — ﴿ ومسا كن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ﴾ التوبة ٢٤

٧ — ﴿ يحلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ التوبة ٦٢

٨ – ﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾. التوبة ٩٦

٩ – ﴿ قال هم أولاء على إثرى وعجلت إليك رب لترضى ﴾ طه ٨٤

١٠ – ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ طه ١٣٠

١١ – ﴿ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ النمل ١٩

١٢ – ﴿ ليدخلنهم مُدخلا يرضونه ﴾ الحج ٥٩

١٣ – ﴿ ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ﴾ الأحزاب ٥١

١٤ – ﴿ إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ الزمر ٧

١٥ – ﴿ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى ﴾ الأحقاف ١٥

١٦ – ﴿ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ النجم ٢٦

١٧ – ﴿ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ الليل ٢١

١٨ – ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ الضحى ٥

ولوحظ فى الفعل أنه تعدى بنفسه فى مواضع ، وبمن فى مواضع وبعن مواضع أخرى وورد تعدية الفعل بعلى قول الشاعر :

إذا رضيت علىَّ بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها(١)

والمقصود : رضيت عنى بنوقشير .

---

(١) البيت للقحيف بن حمير العقيلى يمدح حكيم بن المسيب القشيرى وهو من شواهد المقتضب ٣٢٠/٢ والأخفش فى معانى القرآن ٢٠٦/١ ، وارتشاف الضرب لأبى حيان ٤٥٣/٢ ، والمغنى ١٩١ ، ٨٨٧ ، شرح ابن الناظم ٣٦٨ ، والأشمونى ١٦٩/٢، وابن عقيل ٢٥/٢ ، والتصريح ١٤/٢ ، والخزانة ٤ /٢٤٧ .

ومصدر الثلاثى رضا ورضوان ، ومصدر الرباعى إرضاء يقول الراغب الأصفهانى عن الرضا والرضوان :

رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجرى به قضاؤه ، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا لأمره منتهيا عن نهيه والرضوان : الرضا الكثير ، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان فى القرآن بما كان من الله تعالى »(١).

قال تعالى :

١ — ﴿خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله﴾ آل عمران ١٥

٢ — ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله﴾ آل عمران ١٦٢

٣ — ﴿ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ آل عمران ١٧٤

٤ — ﴿ يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ﴾ المائدة ٢

٥ — ﴿ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ المائدة ١٦

٦ — ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات ﴾ التوبة ٢١

٧ — ﴿ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر﴾ التوبة ٧٢

٨ — ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير التوبة ﴾ ١٠٩

٩ — ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ محمد ٢٨

١٠ — ﴿ تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ الفتح ٢٩

١١ — ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ الحشر ٨

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ٢٨٦ ، ٢٨٧ :

١٢ — ﴿ ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ الحديد ٢٠

١٣ — ﴿ ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ﴾. الحديد ٢٧

أما المصدر الثانى الوارد فى القرآن الكريم فهو التراضى وذكر فى موضعين هما :—

١ — ﴿ فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾ البقرة ٢٣٣

٢ — ﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ النساء ٢٩

وورد اسم الفاعل من الثلاثى وهو راض وأصله راضو قلبت الواو ياء ؛ لتطرفها إثر كسرة فصار « راضيٌ » فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان — الياء بعد حذف حركتها والتنوين — فحذفت الياء فصار الوزن « فاع » بحذف اللام .

وذكر اسم الفاعل مؤنثا فى القرآن الكريم فى آيتين هما :

١ — ﴿ وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية ﴾ الغاشية ٩

٢ — ﴿ ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ الفجر ٢٨

قال ابن خالويه : « أقيمت فاعلة مقام مفعولة »(١) .

أما الزمخشرى فقد قال : راضية منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان : نسبة بالحرفة ونسبة بالفعل أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها » (٢) .

---

(١) إعراب ثلاثين سورة لابن خالوية ١١٥ .
(٢) الكشاف للزمخشرى ١٥٣/٤

واسم المفعول من رضى هو « مرضى » والأصل : مرضوّة فقلبوا من الواو ياء ؛ لأنها أخف . ثم اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن فقلبت الواو وادغمت الياء ثم قلبت ضمة العين كسرة لتناسب الياء .

وورد فى القرآن الكريم فى آيتين هما :

١ — ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ . مريم ٥٥

٢ — ﴿ ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ . الفجر ٢٨

ووردت الصفة على وزن فعيل بمعنى فاعل أو مفعول على ما ذكر العكبرى (١)

فى قوله تعالى :﴿يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾ مريم ٦

(١) إملاء ما من به الرحمن ١١١/٢

الفـاء (١)

تكررت الفاء فى السورة ثمانى مرات فى « فترضى ، فـآوى ، فهدى ، فأغنى ، فأما ، فلا تقهر ، فلا تنهر ، فحدث» .

وجاءت الفاء فى السورة على ضربين :ـ

(أ) عاطفـة .

(ب) رابطـة « جوابية » .

والفاء العاطفة إما أن تعطف مفرداً على مفرد فتكون مفيدة الترتيب والتعقيب وإما أن تعطف جملة على جملة فتفيد السببية غالباً (٢) .

قال السهيلى : الفاء موضوعة للتعقيب وقد تكون للتسبيب والترتيب وهما راجعان إلى معنى التعقيب ، لأن الثانى بعدها أبدًا ، إنما يجىء فى عقب الأول » (٣) .

والفاء عاطفة فى « فترضى ، فـآوىْ ، فهدى ، فأغنى » وهى مفيدة معنى السببية والتعقيب .

---

(١) عد الرمانى الفاء من العوامل وعلل لذلك بقوله : لأنها تخص أحد القبيلين دون الآخر » انظر معانى الحروف للرمانى ٤٣ :

والصحيح غير ما ذكر فالفاء عاطفة للأسماء ، والأفعال فكيف تختص بقبيل دون الآخر ؟ !

(٢) المفيدة معنى السببية إما أن تعطف جملة على جملة ـ وإما أن تعطف صفة على مثلها فمن الأولى :«فوكزه موسى فقضى عليه » القصص آية ١٥ ، ومن الثانية«لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم » الواقعة « ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ » انظر ارتشاف الضرب ٢/٦٣٦ ، والجنى الدانى ٦٤ ، ومغنى اللبيب ٢١٥ .

(٣) نتائج الفكر فى النحو للسهيلى ص ٢٥٠ .

وتحتمل أن تكون جواباً للاستفهام فى « فـآوى »(١).

أما الفاء الجوابية الرابطة فيقصد بها شيئان :

الأول : فاء السببية التى تضمر بعدها «أن»وجوبا بشرط أن تسبق هذه الفاء بنفى محض أو طلب محض ومنه قوله تعالى : ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا » (٢) وقوله تعالى : « لا يقضى عليهم فيموتوا »(٣) .

الثانى : فاء الجزاء الواقعة فى جواب الشرط إذا لم يكن صالحاً لوقوعه شرطا واختيرت الفاء لقول الرضى . لمناسبتها له معنى ؛ لأن معناه التعقيب بلا فصل ، والجزاء متعقب للشرط (٤) .

وأمثلة جواب الشرط المقترن بالفاء كثيرة ومنها قوله تعالى: «إن كنتم تحبون الله فاتبعونى» (٥) فالجواب اقترن بالفاء لأنه جملة طلبية فعلها طلبى ، وقوله تعالى :﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾(٦) اقترن الجواب بالفاء لأنه منفى بلن وقوله تعالى :﴿من يرتدمنكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (٧) الجواب مقترن بسوف.

---

(١) انظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن ١١٩ .
(٢) يونس آية ٨٨ وانظر معانى القرآن للأخفش ٤٢٦/٢ ، ٤٥٠ ، ٥٤٩ ، ٥٥٧ ، ٥٧٣ ، ٦٠٦ .
(٣) سورة فاطر آية ٣٦ .
(٤) شرح الرضى على الكافية ٢٦٢/٢ .
(٥) سورة آل عمران آية ٣١ .
(٦) سورة آل عمران آية ١١٥ .
(٧) سورة المائدة آية ٥٤ .

وقوله تعالى :﴿وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ (١) الجواب جملة اسمية . وقوله تعالى :﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ (٢) لان الجواب جملة فعلية فعلها ماض مقرون بقد .

وتتصل الفاء أيضاً بخبر الموصول إذا تضمن معنى الشرط كما فى قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ (٣).

قال الأخفش :

فجعل الخبر بالفاء كما تقول الذى يأتينى فله درهمان فتلحق الفاء لما صارت فى معنى المجازاة (٤) .

واتصلت الفاء بجواب أما ؛ لأن فيه معنى الشرط قال سيبويه : لازمة فى جواب أما » (٥)

---

(١) سورة الأنعام آية ١٧ .

(٢) سورة يوسف آية ٧٧ .

(٣) سورة الأنفال آية ٧٥ .

(٤) معانى القرآن للأخفش ٥٤٩/٢ ، ومغنى اللبيب ٢١٩ .

(٥) انظر الكتاب لسيبويه ٤٣٥/٤ ، والجنى الدانى للمرادى ٦٦ ، ولها حديث آخر عند الكلام عن « أما » .

الهمـــزة

وردت الهمزة فى قوله تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيما ﴾ .

والهمزة ترد فى الكلام على ضربين :

أحدهما : النـــداء .

الثانى : الاستفهام .

وهمزة الاستفهام تسمى أم الباب ؛ لأنها اختصت بأمور هى :

١ – أنها تأتى لطلب التصور وطلب التصديق أى يستفهم بها عن المفرد وعن النسبة فمن الأول : أزيد عندك أم عمرو ؟ .

ومن الثانى : أزيد قائم ؟

٢ – أنها تتصدر الجملة وتتقدم على حروف العطف ومنه قوله تعالى : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ (١) .

وقوله تعالى :﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون ﴾ (٣) . وهى مسألة خالف فيها الزمخشرى الجمهور حيث رأى أن الهمزة فى محلها الأصلى وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف(٤) وقوله مردود لما فيــه من تكلف ولعدم اطراده فى

(١) سورة البقرة آية ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥ .

(٣) سورة يونس آية ٥١ .

(٤) انظر الكشاف للزمخشرى ٢٧٧/١ .

جميع المواضع ، ولجزم الزمخشرى بما قاله الجمهور فى مواضع منها قوله تعالى :﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا﴾ (١) بأنه معطوف على ما قبله ﴿ فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ (٢) .

٣ — جواز حذف الهمزة سواء تقدمت على « أم » نحو قول عمر بن أبى ربيعة :

فو الله ما أدرى وإن كنت داريا   بسبع رمين الجمر أم بثمان(٣)

أم لم تتقدمها كقول الكميت :

طربت وما شوقا إلى البيت أطرب   ولا لعبا منى ، وذو الشيب يلعب(٤)

والتقدير : أو ذو الشيب يلعب ؟ ؛ لأن المعنى على الاستفهام .

الرابع : أن الهمزة تدخل على الإثبات والنفى فمن الأول : أزيد عندك؟ ومن الثانى قوله تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ (٥) .

الخامس : أنها تخرج عن الاستفهام الحقيقى إلى ثمانية معان :

(أ) التسوية : وتقع همزة التسوية بعد قولك : سواء ، وليت

---

(١) سورة الأعراف آية ٩٧ .

(٢) سورة الأعراف آية ٩٥ .

(٣) البيت من شواهد الكتاب ٧٥/١ ، والمقتضب ٣٩٤/٣ ، وشرح المفصل ١٥٤/٨ وشرح ابن الناظم على الألفية ٥٣١ ، ومغنى اللبيب ٢٠ وشرح ابن عقيل ٢٣٠/٢ :

(٤) البيت فى الهاشميات وهو من شواهد ابن جنى فى المحتسب ٥٠/١ والخصائص ٢٨١/٢ وابن هشام فى المغنى ٢٠ ، والعينى فى هامشه على الخزانه ١١١/٣ ، وهمع الهوامع ١٩٥/١ ، ٦٩/٢ والدرر ١٦٧/١ ، ٨٥/٢ .

(٥) سورة الإنشراح آية ١ .

شعرى ، وما أبالى ومنه قوله تعالى :﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾(١) .

(ب) الإنكار الإبطالى : فإن كان ما بعدها مثبتاً أفادت الهمزة عدم وقوعه وأن مدعيه كاذب ، وإذا كان ما بعدها منفياً أفادت إثباته ؛ لأن نفى النفى إثبات فمن الأول قوله تعالى :﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً ﴾ (٢) ومن الثانى قوله تعالى :﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ (٣) ذكره ابن هشام (٤) ، وذكر المرادى أن المعنى المستفاد من الهمزة فى الآية التذكير .(٥) .

قال السيوطى عن الإنكار الإبطالى : وكثيراً ما يصحبه التكذيب وهو وفى الماضى بمعنى لم يكن ، وفى المستقبل بمعنى « لا يكون » (٦) ففى آية الإسراء المعنى : لم يفعل ذلك .

(حـ) الإنكار التوبيخى : وتفيد أن ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم ومنه قوله تعالى ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ (٧) .

---

(١) سورة البقرة آية ٦ .

(٢) سورة الإسراء آية ٤٠ .

(٣) سورة الضحى آية ٦ .

(٤) مغنى اللبيب ٢٥ .

(٥) الجنى الدانى ٣٢ وقد عبر عن الإنكار التوبيخى بالتقرير كل من الزجاجى فى كتابه حروف المعانى والصفات ٣٣ والرمانى فى كتابه معانى الحروف ٣٣ ، وابن خالويه فى إعراب ثلاثين سورة ١١٩ .

(٦) الاتقان فى علوم القرآن ٣/٢٣٥ .

(٧) سورة الصافات آية ٩٥ .

(د) التقرير : ويقصد به حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر استقر عنده ثبوته أو نفيه ، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره به ومنه قوله تعالى :﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين ﴾(١) .

(هـ) التهكم : ومنه قوله تعالى :﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ (٢) .

(و) الأمر : ومنه قوله تعالى : ﴿ وقل للذين أُوتوا الكتاب والأُميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ (٣) .

(ز)التعجب نحو قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى ربك كيف مَدَّ الظل ﴾(٤) .

(ح) الاستبطاء : ومنه قوله تعالى :﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ (٥) .

« **يجـــدك** » :

أصله « يَوْجِد » وقعت الواو بين عدوتيها الياء المفتوحة قبلها والكسرة بعدها فحذفت فصار الوزن « يعل » .

والفعل مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون والفاعل ضمير مستتر جوازاً يعود على الله .

---

(١) سورة المائدة آية ١١٦ .
(٢) سورة هود آية ٨٧ .
(٣) سورة آل عمران آية ٢٠ .
(٤) سورة الفرقان آية ٤٥ .
(٥) سورة الحديد آية ١٦ .

والفعل نصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، والمفعول الأول الضمير المتصل والثانى « يتيماً » .

وذكر الفعل فى القرآن الكريم بصيغة الماضى ثمانى وثلاثين مرة، وورد بصيغة المضارع سبعا وستين مرة .

وتعددت الصور التى جاء عليها المفعولان، فورد المفعول الأول ضميراً متصلا كالآية الكريمة ، وورد اسماً موصولا كما فى قوله تعالى :﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ﴾(١) .

وورد اسماً ظاهراً كما فى قوله تعالى :﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾(٢) وتعددت الصور التى جاء عليها المفعول الثانى، فورد مفرداً كما فى آيات الضحى ، وجاء جملة كما فى قوله تعالى :﴿وجدها تغرب فى عين حمئة﴾ (٣) وشبه جملة فى قوله تعالى :﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ﴾ (٤) .

فآوى :

إذا كان الفعل بمد الهمزة فأصله أأوى قلبت الثانية ألفا لاجتماع همزتين الأولى مفتوحة (همزة القطع) والثانية ساكنة (فاء الفعل).

والمضارع منه يؤوى والأمر منه آو ، واسم الفاعل على وزن مُفعِل (بكسر العين) مُؤوىٌ « فأعل إعلال قاض » فصار مُؤوٍ بوزن مُفعٍ واسم

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٤ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٠٢ .
(٣) سورة الكهف آية ٨٦ .
(٤) سورة آل عمران آية ٣٧ .

المفعول منه « مُؤْوَىً » بوزن مُفْعَل وقلبت فيه الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .

والمصدر منه إيواء وأصله إأْوى قلبت الياء همزة لتطرفها إثر ألف زائدة وقلبت الهمزة الثانية ياء لاجتماع همزتين فى أول الكلمة والثانية ساكنة لذا قلبت حرفا من جنس حركة الهمزة الأُولى .

أما إذا كان الفعل ثلاثيا فمضارعه آوى ومصدره الأَوى واسم الفاعل منه آوٍ بوزن فاع ، واسم المفعول مأوىّ بتشديد الياء وأصله : مأْوُوْى اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن فقلبت الواوياءً وأدغمت الياء فى مثيلتها .

مع ملاحظة أن الفعل الرباعى متعد ، والفعل الثلاثى يأتى لازماً ومتعدياً . قال أبو عبيد : يقال : أويته بالقصر ، على فعلته ،وآويته بالمد على أفعلته بمعنى واحد » (١) .

وكلا الفعلين وردا فى القرآن الكريم فالثلاثى فى قوله تعالى :

١ — ﴿ إذ أوى الفتية إلى الكهف ﴾ الكهف آية ١٠

٢ — ﴿ قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ﴾ الكهف آية ٦٣

أما الفعل الرباعى ففى قوله تعالى :

١ — ﴿ فآواكم وأيدكم بنصره ﴾ . سورة الأنفال آية ٢٦

٢ — ﴿ والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ الأنفال ٧٢

---

(١) انظر كتاب فعلت وأفعلت للزجاج ص ١٠٢ ، وإعراب ثلاثين سورة من سور القرآن لابن خالويه ١١٩ .

٣ — ﴿ والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ الأنفال ٧٤

٤ — ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴾ يوسف ٦٩

٥ — ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ﴾ يوسف ٩٩

٦ — ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ الضحى ٦

ومجيء المضارع فى قوله تعالى :

١ — ﴿ قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ﴾ هود ٤٣

٢ — ﴿ قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ هود ٨٠

٣ — ﴿ ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ﴾ الأحزاب ٥١

٤ — ﴿ وفصيلته التى تؤويه ﴾ المعارج ١٣

أما فعل الأمر ففى قوله تعالى :

﴿ فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ الكهف ١٦

وورد فى القرآن اسم المكان « مأوى » فى اثنتين وعشرين آية منها ثلاث آيات عن الجنة ، وتسع عشرة آية عن جهنم .

فالمأوى المنسوب للجنة فى قوله تعالى :

١ — ﴿ فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ﴾ السجدة ١٩

٢ — ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ النجم ١٥

٣ — ﴿ فإن الجنة هى المأوى ﴾ . النازعات ٤١

والمأوى المنسوب إلى النار فى :

١ — ﴿ ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾ آل عمران ١٥١

٢ — ﴿ كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم ﴾ . آل عمران ١٦٢

٣ — ﴿ متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ آل عمران ١٩٧

٤ — ﴿ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ . النساء ٩٧

٥ — ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾ . النساء ١٢١

٦ — ﴿ فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ المائدة ٧٢

٧ — ﴿ فقد باءوا بغضب من الله ومأواه جهنم ﴾ الأنفال ١٦

٨ — ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ . التوبة ٧٣

٩ — ﴿ ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ التوبة ٩٥

١٠ — ﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ يونس ٨

١١ — ﴿ أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم ﴾ الرعد ١٨

١٢ — ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ﴾ الإسراء ٩٧

١٣ — ﴿ ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ . النور ٥٧

١٤ — ﴿ ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ . العنكبوت ٢٥

١٥ — ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ﴾ السجدة ٢٠

١٦ — ﴿ ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ الجاثية ٣٤

١٧ — ﴿ مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ الحديد ١٥

١٨ — ﴿ واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ التحريم ٩

١٩ — ﴿ فإن الجحيم هي المأوى ﴾ النازعات ٣٩

الجمل فى السورة

تنقسم الجملة من حيث الإعراب إلى نوعين :

(أ) جملة لها محل من الإعراب .

(ب) جملة ليس لها محل من الإعراب .

وبيَّن المرادى الجمل من حيث الإعراب وعدمه حيث قال : إن أصل الجمل ألا يكون لها محل من الإعراب ؛ لأن الجملة أصلها أن تكون مستقلة لا تتقدر بمفرد ، ولا تقع موقعه ، وما كان من الجمل له محل من الإعراب فإنما ذلك لوقوعه موقع المفرد وسده مسده ، فتصير الجملة الواقعة موقع المفرد جزءًا لما قبلها ، فيحكم على موضعها بما يستحقه المفرد الواقع فى ذلك المحل ، مثال ذلك أنك إذ اقلت : : زيد أبوه قائم ، فـ « أبوه قائم » جملة وقعت خبراً للمبتدأ وأصل خبر المبتدأ أن يكون مفردا ، فالجملة المذكورة واقعة موقع المفرد فيحكم على موضعها بالرفع ، كما يحكم على لفظ المفرد لو حل محلها. إذا فهمت هذا فتقول : كل جملة يسد المفرد مسدها فلا موضع لها من الإعراب » (١).

وعلى ما فهم من كلام المرادى يتضح أن الغالب على جمل الآيات عدم حلول المفرد محلها أى ليس لها محل من الاعراب وإليك بيانها : جملة القسم « والضحى » ابتدائية وتسمى مستأنفة وكذلك « ألم يجدك

---

(١) رسالة فى جمل الإعراب للمرادى ص ٦١ .

يتيما » ، وجملة « ما ودعك ربك » جواب القسم ولا يحل المفرد محلها . وعطفت عليها جملة « وما قلى » فهى تابعة لما لا محل له ، وكذلك : « وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك » ، و « فترضى » .

وجملة « فآوى » ، تابعة للجملة المستأنفة ، وجملة : وجدك وكذلك « هدى » و « أغنى » .

وكذلك الجمل الثلاث « فلا تقهر ، ، فلا تنهر ، فحدث » وقعت أجوبة لشرط غير جازم وهو « أما » .

والجملة التى لها محل من الإعراب فى السورة هى جملة « سجا » إذ محلها الإعرابى الجر بإضافة إذا إليها .

أمّــا

تأتى أمّا (بفتح الهمزة وتشديد الميم) على عدة أوجه :

الأول : أن تكون قطعا وأخذا فى كلام مستأنف ، ومنه ما يرد فى أوائل الكتاب من نحو : أما بعد كذا(١) .

الثانى : أن تكون مركبة من حرفين هما أن المصدرية الناصبة وما المأتى بها عوضاً عن كان المحذوفة ومنه قول الشاعر :

أبا خراشة أما أنت ذا نفرٍ فإن قومى لم تأكلهم الضبع(٢)

وأصل الكلام :

لأن كنت ذا نفر حذفت لام التعليل ؛ لأن حذفها مع أن مطرد(٣) ثم حذفت « كان » وحدها فانفصل الضمير (٤) فصار الكلام : أن أنت ذا نفر ، وجئ بـ« ما » عوضا عن كان فصار الكلام : أن ما أنت ذا نفر ، وأدغمت النون فى الميم ؛ لتقارب مخرجيهما .

والمسموع فى حذف كان والتعويض عنها بـ« ما » إذا كان اسمها

---

(١) كتاب معانى الحروف للرمانى ١٢٩ .

(٢) البيت للعباس بن مرداس ، والمقصود بأبى خراشة خفاف بن ندبة ، والضبع المقصود به السنة المجدبة . والبيت من شواهد الكتاب ٢٩٣/١ ، وإيضاح الشعر للفارسى ٧١ والخصائص لابن جنى ٣٨١/٢ ، معانى الحروف للرمانى ١٣٠ ، شرح المفصل ٩٩/٢ و ١٣٢/٨ ، وشرح الرضى ٢٥٣/١ ، والجنى الدانى ٥٢٨ ، والمغنى ٥٤ ، ٨٤، ٥٧٢ ، ٩١١ ، وشرح الأشمونى على الألفية ٢٤٤/١ .

(٣) الأشمونى ٢٤٤/١ .

(٤) قال الرمانى : فحذفت كان وعوض عنها ما وأتى الضمير المنفصل ؛ لأن التاء ضمير متصل لا يقوم بنفسه .

ضمير المخاطب ، والقياس لا يمنعه فى غيره فقد مثل سيبويه بنحو : أما زيد ذاهبا ذهبت معه(١) .

وورد عن الكوفيين(٢) أن (أن) فى مثل هذه المواضع شرطية كإن مكسورة الهمزة ورجحه الرضى حيث قال :

ولا أرى قولهم بعيداً من الصواب لمساعدة اللفظ والمعنى إياه ، أما المعنى فلأن معنى قولهم أما أنت ذا نفر . إن كنت ذا عدد فلست بفرد ، وأما اللفظ فلمجيء الفاء فى هذا البيت » (٣) .

وقد رجحه أيضاً ابن هشام بعده(٤) .

الوجه الثالث لأما :

المركبة من أم المنقطعة(٥) وما الاستفهامية ، وقد أدغمت الميم فى الميم ومنه قوله تعالى : ﴿ أمَّا ذا كنتم تعلمون ﴾ (٦) .

---

(١) الكتاب ٢٩٣/١ .

(٢) انظر السيرافى فى هامش الكتاب ٢٩٣/١ وارتشاف الضرب لأبى حيان ١٠٠/٢ .

(٣) شرح الرضى على الكافية ٢٥٣/١ ، ٢٥٤ .

(٤) مغنى اللبيب لابن هشام ٥٣ .

(٥) أم المنقطعة حرف غير عاطف عند الجمهور ، وسميت منقطعة لانقطاع الصلة بين ما قبلها وما بعدها وتأتى فى ثلاثة أساليب هى :

أ — أن تكون مسبوقة بجملة خبرية ومنه قوله تعالى : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه» : السجدة آية ٢ ، ٣

ب — أن تكون مسبوقة بهمزة مفيدة معنى الإنكار ومنه قوله تعالى : «ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها » الأعراف آية ١٩٥ .

جـ — أن تكون مسبوقة باستفهام بغير الهمزة ومنه قوله تعالى : «هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور » الرعد آية ١٦ .

(٦) سورة النحل آية ٨٤ .

ومنه قول الشاعر :

فـأجبتهـا أمَّا لجسمى أنـه أودى بنىّ من البلاد فودعوا(١) .

قال أبو على الفارسىّ .

« أما » وهى أم المنقطعة و « ما » التى للاستفهام فيكون التأويل : لجسمى أنه أودى بنى من البلاد (٢) .

الوجه الرابع : أما التفصيلية :

وهى المذكورة فى الآيات الكريمة « فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث » .

وأما عند جمهور النحاة حرف بسيط غير مركب . قال سيبويه : وأما التى فى قولك : أما زيد فمنطلق ، فلا تكون حكاية وهى بمنزلة شرورى »(٣) وورد عن ثعلب أن أما مركبة من إن وما حذف فعل الشرط بعدها وفتحت الهمزة(٤) ، ونسب الرضى هذا القول للكوفيين بعامة حيث قال : ويجوز أن يكون أما عند الكوفيين إن الشرطية ضمت إليها ما عند حذف شرطها (٥) .

---

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى وهو من الكامل من شواهد الفارسى فى إيضاح الشعر ٩٤ وابن جنى فى شرح التصريف ٣ : ١١٧ .

(٢) إيضاح الشعر للفارسى ٩٤ .

(٣) الكتاب ٣٣٢/٣ .

(٤) ذكره كل من أبى حيان فى الارتشاف ٥٦٨/٢ ، والمرادى فى الجنى الدانى ٥٢٣ .

(٥) شرح الرضى على الكافية ٣٩٧/٢ .

وورد قلب الميم الأولى فى أما ياء واستدلوا على ذلك بقول الشاعر :

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت   فيضحى ، وأيما بالعشى فيحضر(١)

معانى أما :

لأما ثلاثة معان هى : التفصيل والشرط والتوكيد وبيانها على النحو التالى :

أولا : التفصيل :

وهو الغالب فيها ، ويستدل على إفادتها معنى التفصيل بطريقين أولهما : استقراء مواقعها ، والثانى : عطف مثلها عليها .

وأمثلتها فى القرآن الكريم كثيرة جداً ومنه قوله تعالى :﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ﴾(٢) .

وقوله تعالى :﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرًا فأردنا أن يبدلهما ربهما

---

(١) البيت لعمر بن أبى ربيعة من الطويل ، وعارضت ارتفعت فى الأفق ، ويخصر يؤلمه البرد فى أطرافه والبيت فى الديوان ص ٨٦ ، وهو من شواهد الكامل ١ /٦٦ ، والمحتسب ٢٨٤/١ وشرح الرضى ٤٠٠/٢ وتذكرة النحاة لأبى حيان ١٢٠ ، والجنى الدانى ٥٢٧ ، ومغنى اللبيب ٧٩ وهمع الهوامع ٦٧/٢ ، وشرح الأشمونى على الألفية ٣٥/٤ ، وخزانة الأدب ٥٥٢/٤ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ .

خيراً منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما ﴾ (١) .

وقوله تعالى :﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾(٢) .

وَبيَّن الجامى فى الفوائد الضيائية المراد بالتفصيل عندما قال : تفصيل ما أجمله المتكلم فى الذكر نحو قولك : جاءنى إخوتك أما زيد فأكرمته ؛ وأما عمرو فأهنته ، وأما بشر فأعرضت عنه ، أو ما أجمله فى الذهن ويكون معلوماً للمخاطب بواسطة القرائن (٣) .

واشترط تكرارها إذا كانت لتفصيل المجمل وقد يترك تكرارها استغناء بذكر أحد القسمين عن الآخر أو بكلام يذكر بعدها فى موضع ذلك القسم :

فالأول : نحو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ﴾ (٤) وقسيمه فى المعنى : ﴿ وأما الذين كفروا فلهم كذا وكذا ﴾ .

والثانى : نحو قوله تعالى :﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم

---

(١) سورة الكهف الآيات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

(٢) سورة الليل الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) الفوائد الضيائية فى شرح الكافية ٣٨٧/٢ .

(٤) سورة النساء الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥ .

زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ (١).

أى وأما غيرهم فيؤمنون به ويكلون معناه إلى ربهم ، ويدل على ذلك قوله تعالى :﴿والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ (٢) وكأنه قيل : وأما الراسخون فى العلم فيقولون . . . (٣) .

وقد تأتى أما لغير تفصيل خلافا لما ذهب إليه جمهور النحاة . قال الرضى : قد تتجرد عنه وقد التزم بعضهم هذا المعنى أيضاً فيها فى جميع مواقعها فالتزم ذكر المتعدد بعدها ، وحمل قوله تعالى : والراسخون فى العلم » بعد قوله :﴿أما الذين فى قلوبهم زيغ﴾ على معنى : وأما الراسخون وهذا وإن كان محتملا فى هذا المقام إلا أن جواز السكوت على مثل قولك : أما زيد فقائم ، يدفع دعوى لزوم التفصيل فيها (٤) .

وقد قال ابن هشام أيضاً بتجرد أما من معنى التفصيل ومثل له بنحو : أما زيد فمنطلق (٥).

ثانياً : الشرط :

أما عند الجمهور حرف فيه معنى الشرط وتأولوه بـ مهما يكن من شيء وهو قائم مقام أداة الشرط وفعله.

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .
(٢) الآية نفسها .
(٣) انظر مغنى اللبيب ٨١ ، وشرح التصريح بمضمون التوضيح ٢٦١/٢ .
(٤) شرح الرضى على الكافية ٣٩٥/٢ .
(٥) مغنى اللبيب ٨٢ وانظر شرح الأشمونى ٣٢/٤ .

قال سيبويه :

وأما - أما - ففيها معنى : الجزاء كأنه يقول : عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق ، ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبدًا (١).

وقال المبرد :

أما المفتوحة فيها معنى المجازاة وذلك قولك : أما زيد فله درهم وأما زيد فأعطه درهما . فالتقدير : مهما يكن من شيء فأعط زيدًا درهما فلزمت الفاء الجواب لما فيه من معنى الجزاء (٢) .

وبتتبع آراء النحاة نجد موافقتهم ما جاء عن سيبويه والمبرد من أن (أما) فيها معنى الشرط وهذه الموافقة من جانب الزمخشري وابن يعيش وأبي حيان والمرادى وابن هشام وابن عقيل (٣) .

أما الرضى فقد قال : هي حرف بمعنى « إن » وجب حذف شرطها لكثرة استعمالها في الكلام ، ولكونها في الأصل موضوعة للتفصيل ، وهو مقتض تكررها كما ذكرنا من قولنا أما زيد فنقيه ، وأما عمرو فمتكلم ، فيؤدى إلى الاستثقال لهذا أيضاً ، حذف ذلك وجوبًا لغرض معنوى ، وذلك أنهم أرادوا أن يقوم ما هو الملزوم حقيقة في قصد المتكلم

---

(١) الكتاب ٢٣٥/٤ .

(٢) انظر المقتضب ٣٥٤/٢ ، ٢٧/٣ ومعانى القرآن للزجاج١٠٥/١ وإيضاح الشعر للفارسى ٧٧ ، والتسهيل لابن مالك ٢٤٥ ، وشرح ابن الناظم للألفية ٧١٥

(٣) انظر الكشاف ١٦٦/١ ، وشرح ابن يعيش على المفصل ١١/٩ ، وارتشاف الضرب٥٦٨/٢ والجنى الدانى ٥٢٢ ، وأوضح المسالك لابن هشام ٢٠٦/٣ ، وشرح ابن عقيل على الألفية ٣٩٠/٢ .

مقام الشرط الذى يكون هو الملزوم فى جميع الكلام . . . وأصل أما زيد فقائم أما يكن من شىء فزيد قائم يعنى إن يكن فى الدنيا شىء يقع قيام زيد فهذا جزم بوقوع قيامه وقطع به ؛ لأنه جعل وقوع قيامه وحصوله لازماً لوقوع شىء فى الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلابد من حصول شىء فيها . ثم لما كان الغرض الكلى من هذه الملازمة المذكورة بين الشرط والجزاء لزوم القيام لزيد حذف الملزوم الذى هو الشرط أى يكن من شىء وأقيم ملزوم القيام وهو زيد مقام ذلك الملزوم . وبقى الفاء بين المبتدأ والخبر ؛ لان فاء السببية ما بعدها لازم لما قبلها فحصل غرضك الكلى وهو لزوم القيام لزيد .(١) .

وكذلك ذكر كل من أبى حيان والمرادى (٢) أن بعض النحاة ذهب إلى أن « أما » حرف إخبار فيه معنى الشرط ، ولم يعينا قائليه ، ووجدت مكى القيسى يذكره ولعله يكون صاحب هذا الرأى .(٣) .

فنظهر من خلال هذا العرض ما يأتى :

١ — أما حرف متضمن معنى الشرط وفعله عند الجمهور بطريق النيابة .

٢ — أما حرف مفيد معنى الشرط بطريق الأصالة عند الرضى .

٣ — أما حرف فيه معنى الشرط أى عن طريق التضمين .

وما يعنينا فى هذا المقام أن تقدير الجمهور لأما بـ مهما يكن من شىء يقصد به المعنى البحث (٤) ؛ لأن « مهما » اسم وأما حرف كما

---

(١) شرح الرضى ٢/٣٩٦ .
(٢) ارتشاف الضرب ٢/٥٦٨ والجنى الدانى ٥٢٢ .
(٣) مشكل إعراب القرآن لمكى القيس ص ٨٤ .
(٤) شرح الرضى ٢/٣٩٧ :

لا يلزم التقدير بمهما يكن من شيء بل يجوز تقدير غيره مما يليق بالمحل . (١) .

ثالثاً : التوكيد :

ذكر الزمخشرى أن أما تفيد التوكيد وذلك عند قوله تعالى : ﴿فأَمَّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ (٢) .

حيث قال : أما فيه معنى الشرط ؛ ولذلك يجاب بالفاء ، وفائدته فى الكلام أنه يعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب ، وأنه منه عزيمة ، قلت : أما زيد فذاهب ؛ ولذلك قال سيبويه فى تفسيره : مهما يكن من شيءٍ فزيد ذاهب . وهذا التفسير مدلٍ بفائدتين : بيان كونه توكيداً ، وأنه فى معنى الشرط» (٣) .

ويذكر أبو حيان إفادة أما التوكيد ولا ينسبه إلى قائله الزمخشرى حيث قال : تصدير الجملتين بأَما التى معناها الشرط مشعر بالتوكيد إذ هى أبلغ من : فالذين آمنوا يعلمون ، والذين كفروا يقولون إذ قد تقرر أن ما برز فى حيز « أما » من الخبر كان واقعا لا محالة(٤) وقد استحسن ابن هشام كلام الزمخشرى حيث قال : لم أر من أحكم ذكره غير الزمخشرى (٥) .

---

(١) مغنى اللبيب ٨٣ وشرح الأشمونى ٣٤/٤ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦ .
(٣) الكشاف ٢٦٦/١ .
(٤) البحر المحيط ١٢٤/١ .
(٥) مغنى اللبيب ٨٢ وانظر الأشمونى ٣٤/٤ .

أحكام أمـا :

لأما فى جملتها عدة أحكام ذكرها النحاة وأولوها عنايتهم وهى :

١ – ألا يأتى بعدها فعل ؛ لأنها لما كانت نائبة عن فعل الشرط وأداته فمجىء فعل بعدها يوهم بأنه فعل الشرط (١) .

٢ – ويستلزم وجود الفاء فى جملتها وسمَّاها الخليل فاء العماد(٢) وسمَّاها الفارسى فاء الجواب ويؤكد على أنها للجواب بقوله :

الذى يدل على أن الفاء جواب أنها لا تخلو أن تكون للعطف أو للجزاء فلا يجوز أن تكون للعطف ؛ لأنها لو كانت له لم تخل من أن تعطف مفرداً على مفرد أو جملة على جملة ، وليس فى هذا الكلام واحد منهما ، فإذا لم يكن ثبت أنها ليست عاطفة ، وإذا لم تكن عاطفة كانت للجزاء (٣) .

كما أكد ابن هشام أنها فاء الجواب حيث قال : لو كانت للعطف لم تدخل على الخبر ، إذ لا يعطف الخبر على مبتدئه ، ولو كانت زائدة لصح الاستغناء عنها ، ولما لم يصح ذلك ، وقد امتنع كونها للعطف تعين أنها فاء الجزاء »(٤) .

٣ – تقديم أحد أجزاء الجملة على الفاء وقد علل له ابن جنى بقوله :

إن العرب كما تعنى بالمعانى فتحققها ، فكذلك أيضاً تعنى بالألفاظ

---

(١) البهجة المرضية فى شرح الألفية للسيوطى ١٦١ .
(٢) كتاب الجمل المنسوب للخليل ٣١٣ .
(٣) إيضاح الشعر للفارسى ٧٦ ، ٧٧ .
(٤) مغنى اللبيب ص ٨٠ .

فتصلحها ، وذلك أن هذه الفاء وإن كانت متبعة غير عاطفة ، فإنها قد تستعمل فى العطف فى كثير من المواضع نحو : قام زيد فعمرو ، فمن عادتها – عاطفة كانت أو متبعة – ألا تقع مبتدأة فى أول الكلام وأنه لابد من أن يقع قبلها اسم أو فعل فلو أنهم قالوا : أما فزيد منطلق على تقدير : مهما يقع من شيء فزيد منطلق ، وأوجبوا على أنفسهم تقدم الفاء على الاسمين مع أما ، كما يقدمونها عليهما مع مهما لوقعت الفاء مبتدأة ليس قبلها فى اللفظ اسم ولا فعل ، إنما قبلها حرف وهو أما فقدموا أحد الاسمين قبل الفاء مع أما ، لما حاولوه من إصلاح اللفظ ليقع قبلها اسم فى اللفظ ، ويكون الاسم الثانى الذى بعده وهو خبر المبتدأ وإن لم يكن معطوفا الآن على المبتدأ تابعا فى اللفظ لاسم قبلها وهو زيد ، فيكون الفاء هنا على صورة العاطفة ، وإن لم تكن عاطفة ، كل ذلك لإصلاح اللفظ» (١) .

وقد فصل بين أما والفاء بأحد الأمور الآتية :

الأول : المبتدأ وأمثلته كثيرة فى القرآن الكريم ومنه قوله تعالى :
﴿ أما السفينة فكانت لمساكين ﴾(٢) .

الثانى : الخبر نحو قولك : أما قائم فزيد وقد نقل عن الصغار قلة الفصل به (٣) .

---

(١) انظر الخصائص ٣١٢/١ ، ٣١٣ ، وسر صناعة الأعراب ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١١/٩ ، وشرح ابن الناظم على الألفية ٧١٦ ، وشرح التصريح ٢٦٢/٢ وحاشية الصبان على شرح الأشمونى ٣٠/٤ .

(٢) سورة الكهف ٧٩ .

(٣) ذكره أبوحيان فى الارتشاف ٥٦٨/٢ والمرادى فى الجنى الدانى ٥٢٥ ، وابن هشام فى المغنى ٨٢ .

الثـالث : اسم منصوب (لفظاً أو محلاً) بما بعد الفاء .

فمثال الأول قوله تعالى :﴿فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر﴾ (١) .

قال الأخفش : أما لا تعمل شيئاً ألا ترى أنك تقول : وأما السائل فلا تنهر ، فتنصبه بتنهر ولم تغير أما شيئاً»(٢)

ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ (٣) .

وقد يكون ما بعد الفاء اسماً يعمل عمل الفعل ، والفاصل معمولا لهذا الاسم ومنه قولهم : أما العسل فأنا شرّاب.

وأجاز المبرد : أما زيداً فإني ضارب ولم يجزه ابن يعيش حيث قال وفيه بعد ؛ لأن إنَّ لا يعمل ما بعدها فيما قبلها »(٤).

ورده الرضى بقوله :

لا يستنكر عمل ما بعد فاء السببية فيما قبلها وإن كان ذلك ممتنعاً في غير هذا الموضع ؛ لأن تقديم المعمولات المذكورة لأجل الأغراض المهمة المذكورة »(٥) .

الرابع : اسم منصوب بفعل محذوف يفسره الفاء : ومنه قوله تعالى ﴿وأما ثمود فهديناهم ﴾ (٦) على قراءة النصب — للأعمش

---

(١) سورة الضحى الآيتان ٩ ، ١٠ .
(٢) معاني القرآن ٢٣٥/١ .
(٣) سورة الضحى آية ١١ .
(٤) شرح المفصل لابن يعيش ١٢/٩ .
(٥) شرح الرضى على الكافية ٣٩٦/٢ .
(٦) سورة فصلت آية ١٧ .

وعاصم (١) ويجب أن يقدر الفعل بعد الفاء وقبل ما دخلت عليه بأن يقال : « أما ثمود فهدينا هديناهم »(٢) .

قال أبو البركات بن الأنبارى : من قرأ (ثمود) بالنصب فإنه نصبه بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر ، وتقديره : مهما يكن من شئ فهدينا ثمود فهديناهم . والنصب ههنا قوى فى القياس ؛ لدخول حرف فيه معنى الشرط ؛ لأن الشرط يقتضى الفعل وهو أولى به »(٣) .

أما قراءة الرفع فقد ارتضاها الجمهور وذكرها سيبويه حيث قال : وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملا فى المضمر وشغلته به ، ولولا ذلك لم يحسن ؛ لأنك لم تشغله بشئ » (٤) .

الخامس : الفصل بالظرف نحو : أما اليوم فإنى ذاهب .

السادس : الفصل بالحال نحو : أما مسرعًا فزيد ذاهب(٥) .

السابع : الفصل بالمفعول له ومنه ما استشهد به سيبويه من قول الشاعر :

---

(١) مشكل إعراب القرآن مكى القيسى ٦٤١ .
(٢) شرح الأشمونى على الألفية ٣٤/٤ .
(٣) البيان فى غريب إعراب القرآن ٣٣٨/٢ .
(٤) الكتاب ٨١/١ .
(٥) ذكره سيبويه فى الكتاب ٣٨٧/١ ومثل له بنحو : أما صديقا مصافيا فليس بصديق مصافٍ .

ألا ليت شعرى هل إلى أم جحدر سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا(١)

الثامن : الفصل بالمصدر المنصوب (المفعول المطلق) نحو : أما ضربًا فاضرب .

التاسع : الفصل بجملة الدعاء واشترطوا له أن يتقدم عليها فاصل بينها وبين أما ومثلوا له بنحو : أما اليوم رحمك الله فالأمر كذا » (٢) وقد منع الرضى الفصل بين أما والفاء بجملة مستقلة وعلل للمنع بقوله : الواقع بينهما جزء الجزاء المقصود كونه ملزومًا للحكم الذى تضمنه ما بعد الفاء ، فلا يكون جملة تامة مستقلة » (٣) .

العاشر : الفصل بجملة الشرط ومنه قوله تعالى :﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ... ﴾ (٤) .

فالظاهر وجود أما وإن الشرطية وكلاهما يفتقر إلى جواب والموجود فى الآية جواب مقرون بالفاء فأيهما أحق بهذا الجواب ؟ .
وردت آراء النحاة على النحو التالى :

(أ) مذهب سيبويه ان الجواب المذكور جواب أما ، ولا جواب لإن

---

(١) البيت للرماح بن ميادة ، وهو من الطويل ، والشاهد فيه : نصب « الصبر » مفعولا لأجله والتقدير : مهما ذكرت شيئاً للصبر ومن أجله فلا صبر لى .
انظر الكتاب ٣٨٧/١ وأمالى ابن الشجرى ٣٤٩/٢ ومغنى اللبيب ٦٥٠ وخزانة الأدب ٢٨٦/١ .
(٢) انظر الجنى الدانى للمرادى ٥٢٤ .
(٣) شرح الرضى ٣٩٧/٢ .
(٤) سورة الواقعة الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

الشرطية ؛ لأن بعدها فعلا ماضياً حيث قال : « فإنما هو كقولك : أما غداً فلك ذاك وحسنت إن كان ، لأنه لم يجزم بها ، كما حسنت فى قوله : أنت ظالم إن فعلت (١) .

(ب) ومذهب المبرد أن الجواب لأما ، وجوابها يسد مسد جواب إن فقد قال : الفاء لابد منها فى جواب أما ، فقد صارت ها هنا جواباً لها ، والفاء وما بعدها يسدان مسد جواب إن » (٢) .

(حـ) ونقل كل من أبى حيان والمرادى عن الأخفش أن الجواب للشرط وأما معًا والأصل : مهما يكن من شىء ، فإن كان من المقربين فروح ثم تقدمت « إن » والفعل بعدها ، فصار التقدير : فأما إن كان من المقربين ففروح ، فالتقت فاءان ، فأغنت إحداهما عن الأخرى فصار «فروح» هذا ما نقلاه عن الأخفش(٣) والذى فى معانى القرآن للأخفش قوله : أى فله روح وريحان (٤) ولم يعين لمن يكون الجواب .

(د) ولأبى على الفارسى رأيان يتفق فى أحدهما مع سيبويه ، وفى الثانى يرى أن الجواب للشرط ، وجواب أما محذوف (٥) .

وبعد عرض آرائهم يظهر لى — والله أعلم — صحة مذهب سيبويه ؛

---

(١) الكتاب ٣/٧٩ .

(٢) المقتضب للمبرد ٢/٧٠ .

(٣) ارتشاف الضرب ٢/٥٦٩ والبحر المحيط ٨/٢١٦ ، والجنى الدانى ٥٢٦ .

(٤) معانى القرآن للأخفش ٢/٧٠٣ .

(٥) إيضاح الشعر للفارسى ٧٨ ، والرأى الثانى ذكره أبو حيان فى الارتشاف والبحر المحيط .

لأن حذف جواب إن أحسن ؛ لأن الثقل منه حصل ، ولأن الحذف بالثوانى أليق . قاله الصبان (١) .

وقد أكد الرضى أن الجواب لأما بعدم جواز : أما إن جئتنى أكرمك بالجزم ووجوب أما إن جئتنى فأكرمك مع إن نحو : إن ضربتنى أكرمك بالجزم أكثر من نحو : ان ضربتنى فأكرمك » (٢) .

حكم حذف الفاء وأما :

أولا : حذف الفـــاء :

ثبت مما سبق أن الفاء لازمة فى جواب أما ، وبَيَّن النحاة أنها لاتحذف إلا تبعاً لقول أو لضرورة أو ندور .

فمن حذفها تبعاً لقول محذوف فى قوله تعالى : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم» (٣) .

قال الفراء : يقال « أما لابد لها من الفاء جوابًا لها فأين هى ؟ فيقال إنها كانت مع قول مضمر ، فلما سقط القول سقطت الفاء معه ، والمعنى — والله أعلم — فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال : أكفرتم فسقطت الفاء مع فيقال . والقول قد يضمر ومنه فى كتاب الله شىء كثير من ذلك قوله تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا »(٤) ، وقوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٣٣/٤ .
(٢) شرح الرضى ٣٩٧/٢ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٦ .
(٤) سورة السجدة آية ١٢ .

البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا » (١) .

ونقل ابن هشام رأيا نسبه للمتأخرين تمنع حذف فاء الجواب حتى مع القول قال ابن هشام : وزعم بعض المتأخرين أن فاء جواب « أما » لا تحذف فى غير الضرورة ، وأن الجواب فى الآية : فذوقوا العذاب ، والأصل : فيقال لهم ذوقوا العذاب فحذف القول وانتقلت الفاء للمقول وأن ما بينهما اعتراض ، وكذا قال فى آية الجاثية « وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم»(٢) قال : أصله فيقال لهم : ألم تكن آياتى ثم حذف القول وتأخرت الفاء عن الهمزة » (٣) .

ومن حذفها فى ضرورة الشعر قول الشاعر :

أما القتال لا قتال لديكم ولكن سيرًا فى عراض المواكب(٤)

وقول الآخر :

فأما الصدور لا صدور لجعفر ولكنَّ أعجازا شديدًا ضريرها(٥)

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٧ وانظر معانى القرآن للفراء ١/٢٢٩ .

(٢) سورة الجاثية آية ٣١ .

(٣) انظر مغنى اللبيب ٨١ وارجع لمعانى القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٤٣٥ .

(٤) البيت من البحر الطويل ، وقائله الحارث من خالد المخزومى ، والمواكب جمع موكب أى الجماعة من الناس ركبانا أو مشاة ، وفيه يهجو بنى أسد ويصفهم بالجبن والضعف وعدم القدرة على القتال ، والاكتفاء بالسير فى جانب المواكب للزينة لا غير .

والبيت من شواهد المقتضب ٢/٧١ ، والمنصف ٣/١١٨ وإيضاح الشعر ٩٨ وسر صناعة الأعراب ٢٧٦ ، وشرح المفصل ٩/١٢ ، وارتشاف الضرب ٢/٥١ ، ٥٢ ، وشرح ابن الناظم على الألفية ٧١٥ ، والأشمونى على الألفية ١/١٩٦ ، ٤/٤٥ وشرح ابن عقيل ٢/١٤١ .

(٥) البيت لشاعر إسلامى وهو من شواهد ابن جنى فى سر الصناعة ٢٦٧ ، وشرح المفصل ٩/١٢ ، وخزانة الأدب ٤/٥٥١ .

والتقدير فى البيت الأول : أما القتال فلا قتال لديكم والتقدير فى البيت الثانى : فأما الصدور فلا صدر لجعفر.

قال المبرد :

« ولو اضطر شاعر فحذف الفاء وهو يريدها لجاز كما قال الشاعر .... » (١).

وقال ابن يعيش :

وربما حذفوا الفاء من جواب « أما » كما يحذفونها من جواب الشرط المحض وهو من قبيل الضرورة »(٢).

وذكره أيضاً الرضى حيث قال : ولا يحذف الفاء فى جواب (أما) إلا لضرورة الشعر نحو قوله : فأما الصدور لا صدور لديكم ... (٣).

أما الصبان فقد أجاز تقدير القول وعليه يكون المعنى صحيحاً (٤) وذلك فى قول الشاعر :

أما القتال لا قتال لديكم ولكن سيرًا فى عراض المواكب

ومن حذف الفاء للندور والقلة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله . (٥).

---

(١) المقتضب ٧١/٢ .
(٢) شرح المفصل ١٢/٩ وانظر مغنى اللبيب ٨٠ .
(٣) شرح الرضى على الكافية ٣٦٩/٢ .
(٤) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٤٥/٤ .
(٥) أخرجه البخارى «كتاب البيوع » .

وقوله صلوات الله عليه وسلامه : أما موسى كأنى أنظر إليه إذ انحدر فى الوادى يلبى » (١) .

وورد فى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها : خرجنا مع رسول الله فى حجة الوداع فأهللنا بعمرة ، ثم قال : من كان معه هدى فليهل بالحج والعمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما ، فقدمت مكة وأنا حائض ، فلما قضينا حجنا ، أرسلنى مع عبد الرحمن إلى التنعيم ، فاعتمرت ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذه مكان عمرتك فطاف الذين أهلوا بالعمرة ، ثم حلوا ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى ، وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة طافوا طوافاً واحداً (٢) .

وسأل : رجلٌ البراء رضى الله عنه فقال : يا أبا عمارة يوم حنين ؟ قال البراء : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يول يومئذ.(٣) .

وفى الحديث الأول يجوز تقدير القول : أما بعد فأقول ... ولا يجوز ذلك فى غيره ولهذا نجد ابن مالك يقرر أن الفاء تحذف فى غير القول وإن كان الحذف قليلا (٤) .

ثانياً : حذف أمـا :

ورد حذف أما لكثرة الاستعمال قال الرضى : وقد يحذف أما لكثرة

---

(١) أخرجه البخارى «كتاب التلبية » ؛

(٢) أخرجه البخارى «كتاب الحج باب طواف القارن » ؛

(٣) أخرجه البخارى كتاب الجهاد . باب من قال خذها وأنا ابن فلان ؛

(٤) شواهد التوضيح ١٣٦ .

الاستعمال نحو قوله تعالى : ﴿وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر﴾(١) و﴿ هذا فليذوقوه ﴾(٢) و ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ (٣) وإنما يطرد ذلك إذا كان ما بعد الفاء أمرًا أو نهيا وما قبلها منصوبًا به أو بمفسر به ، فلا يقال زيدًا فضربت ولا زيدًا فضربته بتقدير أما . . . وإنما جاز تقدير أما بالقيد المذكور ؛ لان الأمر لإلزام الفعل لفاعله ، والنهى لإلزام ترك الفعل لفاعله فناسباً إلزام الفعل أو تركه للمفعول وذلك بأن يقدر « أما » قبل المنصوب . وتدخل فاؤها على الأمر والنهى ، فإن ما قبل الفاء « أما » ملزوم لما بعدها »(٤) .

وأجاز ابن هشام فى آية « ص » وجهين آخرين :

أولهما : أن « هذا » مبتدأ وخبره « حميم » ، وما بينهما اعتراض .

والثانى : « هذا » منصوب بمحذوف يفسره فليذوقوه (٥) .

وقد ورد فى إعراب القرآن للنحاس عند إعرابه لآية « وثيابك فطهر » قوله : نصب بـ فاهجر ، ولو كانت فى الأفعال الهاء لكان النصب أولى أيضاً ؛ لأن الأمر بالفعل أولى (٦) .

وعلى هذا يمكننا موافقة الرضى على حذف أما مع بقاء ما يدل عليها وهو وجود الفاء وكون ما بعدها أمرًا أو نهياً .

---

(١) سورة المدثر الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ .
(٢) سورة ص آية ٥٧ .
(٣) سورة يونس آية ٥٨ .
(٤) شرح الرضى على الكافية ٢/٣٩٩ .
(٥) مغنى اللبيب ص ٢٢٠ .
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٥/٦٥ .

اللغات الواردة فى « أما » .

ذكرت قبلا الخلاف فى « أما » وظهر أنها حرف بسيط عند الجمهور ومركب عند ثعلب وغيره من الكوفيين .

وورد فى « أمَّا » قلب ميمها الأُولى ياء وهى لغة بنى تميم كما فى قول عمر بن أبى ربيعة .

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت ... فيضحى ، وأيما بالعشى فيخصر

قال البغدادى :

وهذا يقع وإنما بابه أن يكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فِعال فيكرهون التضعيف والكسرة فيبدلون من المضعف الأَول ياء للكسرة وذلك قولهم : دينار وقيراط ، وديوان وما أشبه ذلك ، فإن زالت الكسرة وانفصل أحد الطرفين من الاخر رجع التضعيف فقلت دنانير وقراريط ودواوين .

---

(١) البيت قائله عمر بن أبى ربيعة ، عارضت غدت فى عرض السماء ويضحى من باب فرح والمراد يظهر للشمس ، و(يخصر) من الخصر وهو البرد ، يقال : خصر الرجل إذا آلمة البرد فى أطرافة والعشى من صلاة المغرب إلى العتمة .

والمراد أنه رجل يضحى وقت معارضة الشمس إياه ويخصر بالعشى فهو أخو سفر يصلى الحر والبرد بلا ساتر . أنظر الديوان٨٦ والبيت من شواهد الكامل للمبرد ، والمحتسب لابن جنى ١ / ٢٨٤ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٤ / ٥٥٢ ، مغنى االبيب ٧٩ ، شرح الأشمونى على الألفية ٤ / ٤٩ ، همع الهوامع ٦٧/٢ .

وبعـــد

فهأنذى أصل إلى نهاية المطاف وأقول وبالله التوفيق .

لقد عشت مع هذه السررة العظيمة التى تناولت شخصية الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامة ، وما حباه الله به من الفضل العظيم ، والخير العميم فى الدنيا والآخرة .

ووجدت جمل الآية متنوعة فكانت خبرية وإنشائية ، وفيها من أساليب التأكيدالتى تطمئن قلب الرسول فيهدأ بالا ويطمئن نفسا ووجدت من الإيجاز والاختصار اللفظى حذف المفاعيل فى :قلى ،فهدى ، فأغنى ، وذلك لأجل مراعاة الفواصل.

ولاننسى وجود الطباق بين « الآخرة » و « الأولى » ، لأن المراد بالأولى الدنيا وهى تطابق الاخرة .

وتظهر المقابلة اللطيفة فى قوله تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك عائلا فأغنى ﴾ قابلها بقوله :﴿ فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر ﴾ وهى من لطائف علم البديع .

وكذلك يوجد « الالتزام » وهو من الفصاحة اللفظية فى قوله تعالى :

﴿ فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ﴾

والجناس الناقص بين« تقهر »و « تنهر » . ويوجد السجع المرصّع كأنه الدر المنظوم فى عقد كريم فى قوله تعالى : « ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى »(١).

فالله أرجو أن أكون قد أوفيت الدراسة حقها ،وأسأله التوفيق والسداد.

د . يسرية محمد ابراهيم حسن الشافعى

---

(١) انظر المصباح فى علم المعانى والبديع لبدر الدين بن الناظم ص٤٩، ١٧٧، ومغنى اللبيب ٨٣٠ وصفوة التفاسير للصابونى ج٣٠ / ٧٣ .

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – الإتقان فى علوم القرآن
جلال الدين السيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل .

٣ – ارتشاف الضرب من لسان العرب
لأبى حيان الأندلسى . تحقيق د. مصطفى النمَّاس
م المدنى ١٩٨٧ .

٤ – أسباب النزول
لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى –
دار الكتب العلمية . بيروت .

٥ – أسرار ترتيب القرآن الكريم
جلال الدين السيوطى . تحقيق عبد القادر أحمد عطا ؛
دار الاعتصام . ط الثانية ١٩٨٩ .

٦ – أعجب العجب فى شرح لامية العرب
لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى . تحقيق محمد إبراهيم
حود . ط الأولى . ١٩٨٧ .

٧ – إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم
لأبى عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه –
مؤسسة الإيمان . بيروت .

٨ – إعرب القرآن
لأبى جعفر النحاس . تحقيق د. زهير غازى زاهد –
عالم الكتب . الطبعة الثالثة ١٩٨٨ .

٩ — أمالى ابن الحاجب
لأبى عثمان بن الحاجب . تحقيق د. فخر صالح سليمان قدارة .
دار الجيل . بيروت ١٩٨٩ .

١٠ — الأمالى الشجرية
لهبة الله المعروف بابن الشجرى — دار المعرفة للطباعة
والنشر . بيروت .

١١ — إملاء ما من به الرحمن فى وجوه إعراب القرآن
لأبى البقاء العكبرى — دار الكتب العلمية — بيروت
ط الأولى ١٩٧٩ .

١٢ — الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين
لكمال الدين أبو البركات بن الأنبارى . تحقيق
محمد محيى الدين عبد الحميد . دار الفكر

١٣ — إيضاح الشعر
لأبى على الفارسى . تحقيق د. حسن هنداوى — دار القلم
— دمشق . ط الأولى ١٩٨٧ .

١٤ — البحر المحيط (تفسير)
لأبى حيان الأندلسى . مطابع النصر الحديثة — الرياض .

١٥ — البرهان فى علوم القرآن
لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى . تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث . القاهرة .
ط الثالثة ١٩٨٤ .

١٦ — البيان فى غريب إعراب القرآن
لأبى البركات بن الانبارى . تحقيق د. طه عبد الحميد طه
— الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

١٧ — التصريح بمضمون التوضيح
خالد بن عبد الله الأزهرى . ط مصطفى محمد . القاهرة ١٣١٢ هـ .

١٨ — تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد
لابن مالك . تحقيق محمد كامل بركات . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٨ .

١٩ — تفسير أبى السعود بن محمد العمادى الحنفى
تحقيق عبد القادر أحمد عطا . دار إحياء التراث العربى . بيروت .

٢٠ — تفسير الطبرانى (جامع البيان فى تفسير القرآن)
لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . دار المعرفة . بيروت

٢١ — تفسير الفخر الرازى (التفسير الكبير)
ط الثانية . دار الكتب العلمية . طهران .

٢٢ — تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)
لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى . دار الشعب .

٢٣ — تفسير النسفى
لعبد الله بن أحمد النسفى . عيسى الحلبى . بدون تاريخ

٢٤ — ثلاث سور من الدرر فى إطراء سيد البشر
محمد محمد الصواف . دار الاعتصام .

٢٥ — الجنى الدانى فى حروف المعانى
للحسن بن قاسم المرادى . تحقيق فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٩٨٣ .

٢٦ – حاشية الصبان على شرح الأشمونى على الألفية
دار إحياء الكتب العربية .

٢٧ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب
عبد القادر بن عمر البغدادى . دار صادر . بيروت .

٢٨ – الخصائص
لأبى الفتح عثمان بن جنى . تحقيق محمد على النجار .
دار الهدى للطباعة والنشر . بيروت . الطبعة الثانية .

٢٩ – ديوان امرىء القيس
دار الكتب العلمية . بيروت .

٣٠ – رسالة فى جمل الإعراب
لبدر الدين الحسن بن قاسم المرادى . تحقيق ودراسة .
د. سهير خليفة . ط الأولى ١٩٨٧ .

٣١ – سر صناعة الإعراب
لابن جنى . تحقيق مصطفى السقا ومحمد الزفزاف .
دار إحياء التراث القديم . مصطفى البابى الحلبى .
ط الأولى .

٣٢ – سنن ابن ماجة
الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى . تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقى . ط عيسى الحلبى .

٣٣ – شرح الأشمونى على الألفية
نور الدين أبو الحسن على بن محمد الأشمونى .
دار إحياء الكتب العربية .

٣٣ – شرح ابن عقيل على الألفية
بهاء الدين عبد الله بن عقيل . تحقيق محى الدين عبد الحميد

٣٥ — شرح بدر الدين بن الناظم على الألفية
تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد . دار الجيل . بيروت .

٣٦ — شرح جلال الدين السيوطى على الألفية
دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبى .

٣٧ — شرح الكافية
لرضى الدين الاستراباذى . محمد محيى الدين عبد الحميد.
تحقيق محمد نور الحسن ،محمد الزفزاف . دار الكتب
العلمية . بيروت .

٣٨ — شرح الكافية (الفوائد الضيائية)
نور الدين عبد الرحمن الجامى . دراسة وتحقيق .
د. أسامة الرفاعى . مطبعة وزارة الأوقاف والشئون
الدينية . ١٩٨٣ .

٣٩ — شرح المفصل
لموفق الدين بن يعيش . عالم الكتب . بيروت .

٤٠ — شواهد الكشاف (تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات)
محب الدين أفندى . دار الفكر للطباعة والنشر .
ط الأولى ١٩٧٧ .

٤١ — صفوة التفاسير
محمد على الصابونى . دار القرآن الكريم . بيروت .

٤٢ — العمدة فى غريب القرآن
لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى . تحقيق يوسف
عبدالرحمن المرعشلى . مؤسسةالرسالة . بيروت سنة١٩٨١.

٤٣ — عمدة القارى شرح صحيح البخارى (العينى على البخارى)
دار الفكر ١٩٧٩ .

٤٥ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى
أحمد بن على بن حجر العسقلانى . مطبعة بولاق ١٣٠٠ .

٤٦ — فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية وعلم التفسير
محمد بن على الشوكانى . الناشر محفوظ العلى .

٤٧ — فى ظلال القرآن
سيد قطب . طبعة دار الشروق .

٤٨ — القاموس المحيط
الفيروزبادى . دار الجيل . بيروت .

٤٩ — الكامل فى اللغة والأدب
لأبى عباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم والسيد شحاته . مطبعة نهضة مصر .

٥٠ — الكتـــاب
لسيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة الخانجى .
القاهرة . ط الثانية ١٩٨٣ .

٥١ — كتاب الجمل فى النحو
للخليل بن أحمد الفراهيدى . تحقيق د . فخر الدين قباوة .
مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٩٨٥ .

٥٢ — كتاب الجمل فى النحو
لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى . تحقيق د . على
توفيق الحمد . مؤسسة الرسالة . بيروت ط الثانية ١٩٨٥

٥٣ — كتاب الحروف والصفات
للزجاجى تحقيق حسن شاذلى مزهود . دار العلوم ١٩٨٢

٥٤ — كتاب اللامات .
للزجاجى : تحقيق مازن المبارك دار الفكر . ط الثانية ٨٥

٥٥ — كتاب اللامات

لعلي بن محمد الهروى . تحقيق د . أحمد الرصد . مطبعة حسان ١٩٨٤

٥٦ — الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل الزمخشرى .

ط مصطفى الحلبى ١٩٦٦ .

٥٧ — الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها .

مكي القيسى . تحقيق د . محيي الدين رمضان . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ .

٥٨ — لسان العرب .

ابن منظور جمال محمد بن مكرم الأنصارى .
الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٥٩ — المحتسب فى شواذ القراءات

أبو الفتح عثمان بن جنى . تحقيق على النجدى ناصف .
د. عبد الفتاح شلبى . القاهرة ١٩٦٥ .

٦٠ — مشكل إعراب القرآن

مكى القيسى . تحقيق د. حاتم الضامن . مؤسسة الرسالة .
بيروت . الطبعة الرابعة ١٩٨٨ .

٦١ — المصباح فى المعانى والبيان والبديع

بدر الدين بن مالك . تحقيق د. حسنى عبد الجليل .
مكتبة الآداب . ط الأولى ١٩٨٩ .

٦٢ — معانى القرآن

للأخفش سعيد بن مسعدة . دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد . عالم الكتب . الطبعة الأولى ١٨٩٢ .

٦٣ — معانى القرآن وإعرابه

للزجاج أبى إسحق إبراهيم بن السرى . شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبى . عالم الكتب . الطبعة الأولى ١٩٨٨ .

٦٤ — معانى القرآن

لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء . تحقيق أحمد يوسف نجاتى وآخرين . عالم الكتب ١٩٨٠ .

٦٥ — معجم شواهد العربية

عبد السلام هارون . مكتبة الخانجى . الطبعة الأولى ١٩٧٢

٦٦ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

لمحمد فؤاد عبد الباقى . دار الشعب . بدون تاريخ .

٦٧ — مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب

لابن هشام الأنصارى . تحقيق مازن المبـــارك . دار الفكر . بيروت ١٩٧٩ .

٦٨ — المفردات فى غريب القرآن

للراغب الأصفهانى . تحقيق محمد سيد كيلانى . ط مصطفى الحلبى — الطبعة الأخيرة ١٩٦١ .

٦٩ — المقتضب

لأبى العباس المبرد . تحقيق الأستاذ محمد عبدالخالق عضيمة عالم الكتب . بيروت .

٧٠ — من نحو القرآن

للأستاذ الدكتور يوسف أبو العلا الجرشة . مطبعة السعادة . الطبعة الأولى ١٩٧٠ .

٧١ — نتائج الفكر فى النحو

لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى . تحقيق .
د. محمد إبراهيم البنا . دار الاعتصام .

٧٢ — النظم الفنى فى القرآن

عبد المتعال الصعيدى . مكتبة الآداب .

* * *

الفهرس

مطبعة التقدم
ت : ٨٤١٤٢١

رقم الايداع ٢٥٠٤ / ٩٣
I. S. B. N.
977 -- 00 - 4680 - 9